دراسات



هل أفضل أيام البشر قادمة؟



مناظرة رباعية

آلان دو بوتون — ستيفن بنكر

مالكولم غلادويل — مات ردلي

ترجمة وتقديم: نصير فليح

مكتبة ٦٠٢



مكتبة | 602

هل أَفْضَلُ
أيامِ البَشر قادمة؟



هل أفضل أيام البشر قادمة، ت: نصير فليح
الطبعة الأولى ٢٠١٩

Nabu Publishers
تلفون: ٩٦٤٧٨٠٤٤٢٣٦٢٩ +
ص.ب: ٥٠٤٧ مكتب بريد الرشيد، بغداد، العراق
E-mail: info@nabupub.com
التوزيع خارج العراق: دار التنوير
لبنان - مصر - تونس
التصميم والإخراج الفني: وليد غالب

ISBN:978-614-472-089-9

هل أَفْضَلُ أيامِ البَشر قادمة؟

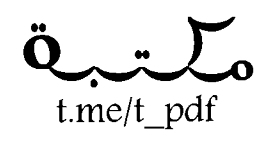
مناظرة رباعية

آلانْ دو بوتون
ستيفن بنكر
مالكولم غلادويل
ماتْ رِدلي

مكتبة | 602

ترجمة وتقديم: نصير فليح





مقدمة المترجم

يتضمـن هـذا الكتاب مناظـرةً من سلسـلة مناظـرات (مَنْك) MUNK نصـف السـنوية التي تجـري في كندا حـول مواضيع مختلفـة. وموضوع هذه المناظـرة، أو أطروحتهـا هـي: هل أَفْضَـلُ أيامِ البـشر قادمة؟. تبـدأ الفعالية باستطلاعٍ لرأي حوالي 3000 شخص من الجمهور حول موضوع المناظرة، أيْ ما إذا كانوا يعتقدون أنّ أَفْضَل أيام البشر قادمة أم لا. تبدأ بعدها المناظرة بين فريقين يضمّ كل منهما شخصين: فريقُ المؤيدين للأطروحة، أيْ المعتقدينَ بأنّ أَفْضَل أيام البشر قادمة، وهما سـتيفن بنكـر STEVEN PINKER ومـاتْ رِدلي MATT RIDLEY، وفريـق المتحفّظـين، الذيـن لا يقـرّون بذلـك أو يشـككون فيه، ويتضمن آلانْ دو بوتـون ALAIN DE BOTTON ومالكولم غلادويـل MALCOLM GLADWELL. ويديـر المناظرة روديـارد غْرِفِنْش RUDYARD GRIFFITHS. تبـدأ مجريات المناظرة باعطاء 8 دقائق لكلّ من المتناظريـن الأربعة لتقديم كلماتهـم الافتتاحية، ثم يُعطـى كلّ منهم 3 دقائق للـردّ، بعدها تتحول المناظرة إلى نقاش مباشر بين المتناظرين. ثم يكون هناك استطلاعٌ ثانٍ للجمهور لبيان ما إذا كانت المناظرةُ أحدثتْ تغييراً في قناعاتهم

وإجاباتهم لصالح هذا الطرف أو ذاك. كما يتضمن الكتابُ لقاءاتٍ مع المتناظرين الأربعة قبل بدء المناظرة، وتعقيباً عليها أيضاً.

هل أَفْضَلُ أيامِ البشر قادمة؟

السؤال الذي تتناوله المناظرة في هذا الكتاب سؤالٌ كبير جداً بالطبع. وككل الأسئلة الكبيرة جداً، فإنّه يمدّ تفرعاتٍ كبيرة جداً في مختلف المجالات الفكرية والروحية والمادية. فالتساؤل عن المستقبل، وما إذا كان سيأتي بأيامٍ أَفْضَل للبشر أم لا، يرتبط بالعلم والدين والتنوير والعقل والعقلانية والتكنولوجيا والفلسفة والأخلاق والسياسة والفرد والمجتمع والبيئة، وبالتالي يعتمد على المنظور العام الذي يُنظر من خلاله لهذه المواضيع مجتمعة. وكما يقول رئيس مناظرات مَنْك روديارد غْرِفِثْس في مقدمته فإن هذه المناظرة، مقارَنةً بما سبقها، تتضمن "منعطفاً فلسفياً قوياً". وكان هذا دافعاً مهماً لترجمة هذا الكتاب، وكتابة المقدمة أيضاً، التي أردنا لها تبيان الأرضية النظرية العامة لما يجري في المناظرة من محاججات، مع اعتبار الشواغل والانهمامات الفكرية والمعرفية للقارئ العربي الكريم.

قد يتصور الكثيرُ من القراء في عالمنا العربي انّ الموضوع يتعلق بالتباين الأساسي بين التصورات الدينية والعلمانية. لكن في الحقيقة، وكما تبين هذه المناظرة بين عدد من المفكرين البارزين في عالمنا المعاصر، انّ الاختلافات تمتدّ داخل نطاق التصورات اللادينية أيضاً (كما هي الحال داخل التصورات الدينية). فالمتناظرون الأربعة في هذا الكتاب لا يتطرّقون أو يُقاربون موضوع

مستقبل البشر من منطلقٍ دينيّ، ولا يتعرضون إلى هذا الموضوع إلا لُماماً، مع هذا، نجد الاختلافات الرئيسية بينهم حاضرةً بقوة، بين متفائل ومتشائم، مناصر ومتحفّظ، مؤكدٍ ومتشكك، بدرجاتٍ شتى، تصلُ إلى التعارض التام أحياناً.

إن المسار الذي سارتْ فيه حالُ البشر في القرون الأخيرة، والواقع الحالي وما ينبؤ به، موضعُ خلافٍ شديد على مستوى الفكر العالمي. فهناك من يعتبرُ التقدمَ أمراً جارياً على قدمٍ وساق وسيفضي إلى تحسن في أحوال البشر، وهناك من يتحفظ على ذلك، أو يرى انّ المنطلقات التي انطلق منها التنوير والعلم والعقلانية في العالم الحديث لا غبار عليها من حيث المبدأ، لكنها جرتْ بطريقة جعلتها تتضمن وجهين، سلبياً وإيجابياً. فرغم تحسن أوضاع البشر في بعض المجالات، فهي لا تزال متدهورةً في أخرى، وثمة مخاطرَ من نوعٍ جديد باتتْ على الأبواب مما لم تعرف له البشريةُ في السابق مثيلاً.

والنقاش والجدال في عالمنا المعاصر حول كل هذه المواضيع، هو امتداد للجدال والفكر في القرنين الماضيين، وما سبقهما أيضاً. فوعود عصر الثورة الفرنسية مثلاً، وما اقترن بها من تطلعات لخير وسعادة البشر وحقوق الإنسان والمساواة، لم تجرِ بالشكل الذي وعدتْ وبشّرتْ به. ولا يزال التفاوتُ الكبير بين البشر في ظروف حياتهم حاضراً[1]، ولا تزال الصراعات والحروب

---

(1) يشير تقرير لمنظمة أوكسفام مؤخراً انّ 26 شخصاً يملكون ما يقارب نصف ثروة العالم. أنظرْ موقع بي بي سي في 21-1-2019 على الرابط التالي http://www.bbc.com/arabic/world-46951302. جميع الهوامش للمترجم، باستثناء ستة هوامش في فصل «تعقيب ما بعد المناظرة» تمت الإشارة إليها بالحرفين (هـ. أ) بمعنى ان الهامش في أصل الكتاب.

حاضرةً، والتقدمُ العملي والعلمي الذي حدث في بعض المجالات، يمكن نقدهُ أيضاً لجهة فتحه الباب امام مشاكل ومخاطر جديدة، موجودة أو محتملة.

من بين المشاكل المختلفة التي ستُطرَحُ بقوة في المناظرة، مشكلتان رئيسيتان نعتقد انّ عالمنا العربي عموماً قليل الاهتمام والشعور بهما. وهما مخاطر الأسلحة النووية ومخاطر التغيرات المناخية. وهذا أمرٌ مفهوم في جانب منه، لأنّ عالمنا العربي وشعوبه تمرّ بمخاضات وصراعات أساسية ملحّة مباشرة بالنسبة لها، مثل تحسين أوضاعها المعيشية، والتخلّص من الأنظمة الاستبدادية، وتحدّيات أسئلة الديمقراطية والتغيير، والصراع مع القوى الإسلاموية المتطرفة التكفيرية، وغير ذلك من مشاكل عالمنا العربي المعروفة للقارئ.

لكن، في الحقيقة، إنّ تطوّرَ نزاعٍ عالمي بأسلحة دمار شامل، أو تغيرات مناخٍ تسبب كوارث على المستوى العالمي لكل البشر، سواء في بلدان العالم المتقدم أو العالم النامي، مسائل لا يمكن البقاء بمنأىً عنها متى ما حدثت، وهي ذاتُ طابعٍ ونطاق شامل قد يهدد الحياة على الكوكب بمجمله. بل انّ المتناظرين الأربعة أنفسهم في هذا الكتاب، رغم اختلافاتهما الكبيرة، يتفقون على انها أخطر المشاكل، بما في ذلك فريق المتفائلين او المؤيدين، مثل ستيفن بنكر، الذي يقول عن التغير المناخي "ربما هو اعظم تحدّ واجهته البشرية". وجانبٌ من عدم الاكتراث العربي بهذا الشأن هو انّ هذه المشاكل مَنوطةٌ بالبلدان الأكثر تطوراً، وبالتالي فإنّ عالمنا العربي، حتى لو اهتمّ بشيءٍ منها، فليس بامكانه فعلُ الكثير بشأنها بطبيعة الحال.

نظره سريعة إلى قرنين من الزمان:

لأجل تَفهُّمِ موضوع المناظرة بشكل أكبر، إرتأينا تقديمَ نظرة سريعة إلى القرنين الماضيين من الزمان والجدل والجدال الفكري والعلمي حول ما يطرح من مواضيع فيها، لتقديم إطار فكري عام يمهد لاستقصاء هذه المناظرة بتشعباتها العديدة، الضمنية والمعلنة.

فبعدَ الثورة الفرنسية والعصرِ الذي رافقها، والذي أثار تعاطفَ وحماس مفكرين وكتّابٍ وفنانين من أمثال إمانويل كانْت، وهيغل، وبتهوفن، وغيرهم - فضلاً عن الجموع التي آمنتْ بها وقاتلتْ لأجلها - فإن ما جرى ما لبث أنْ أشار إلى تعقيدات جديدة، مع الإحباط العام الذي رافق هذا التحوّل، وتجليات ذلك في الفكر والنظرية والفلسفة.

لنرى فلاسفةً مثل شوبنهاور، بتصوّرهِ عن "إرادة عمياء" قابعة في قلب العالم (ولنلاحظ الفارق الكبير مع روح التبشير بعصر العقل والعقلانية الذي قال به إمانويل كانْت مثلاً، أو تطور الروح المُطلَق حسب هيغل). بينما لاحظ كارل ماركس ما يفرزه العالمُ الصناعي الرأسمالي من لا عدالة إجتماعية وظهورَ طبقات جديدة إلى مسرح التاريخ، معتقداً انّ حركة التاريخ والتطور الاقتصادي ستفضي إلى تحقيق مجتمع العدالة الإجتماعية في صيغة المجتمع الاشتراكي فالشيوعي، ومؤشراً أيضاً إلى حالة "الإغتراب" ALIENATION (وهو أصلاً مفهوم هيغلي) التي باتت تعاني منها الطبقة الجديدة والإنسان عموماً في العالم الحديث. ولعلّ ذروة العدمية وعدم الثقة بالوعود المبشّرة بعصر جديد من العدالة والخير والحرية والسعادة، بلغتْ سَمْتَها في القرن التاسع عشر مع فريدريك نيتشه وفلسفته، التي رأتْ مختلفَ

القيم والمثل العليا في عالم البشر محضَ وهم، وأنّ الحقيقة العاريةَ مُتمترسةٌ في القوة وإرادة القوة.

وبعد فترة من التطور الإيجابي المشجع في مجالات الإقتصاد والعلم والتكنولوجيا في القرن التاسع عشر، ظهرت حالةٌ من الثقة العالية بالعلم وقدراته الثورية في تغيير حياة البشر. لكن العلم نفسه ما لبث أنْ تعرض مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (بين عامي 1905-1895، كما تبين الموسوعة البريطانية) إلى تغيراتٍ ثورية أحدثت تراجعاً في اليقين العلمي، وتغيراً في مفهوم "الحقيقة العلمية" نفسه، بالارتباط مع تطورات فيزياء الكوانتم والنظرية النسبية. ومنذ ذلك الحين أمسى العلم بالتدريج "أكثر تواضعاً" في طموحاته ووعوده، بل تمت اعادةُ تعريف الفيزياء نفسها "بأنها دراسة العلاقات بين المراقبين والأحداث، أكثر مما هي دراسة الأحداث نفسها" - كما تشيرُ الموسوعة نفسها - وهذا تحولٌ كبير، بعيداً عن النزعات "العلموية" المبالغة مثل تلك التي وضعها أوغست كونت في القرن التاسع عشر، واليقينية التي تم طرح هذه النزعات وأمثالها بها، مما بات يُسمّى بالعلموية SCIENTICISM بمعنى انتقاصي غالباً من المبالغة في الثقة بالعلم وقدرته على حلّ مختلف المشاكل.

ثم جاءت النكبتان الأكبر في القرن العشرين، ونقصدُ الحربَ العالمية الأولى ثم الثانية. والأخيرة لوحدها، قضتْ على عدد من البشر أكبر من الحروب الماضية واللاحقة في التاريخ مجتمعة. وقد كان لهما أثر كبير جداً في تصاعد التشكيك بكل ما سبق من وعود بالعقل والعقلانية والتنوير والتكنولوجيا والعلم المقترن بخير البشرية وتطورها وازدهارها. ومن أبرز

العلامات المحفزة للتشكيك والتشاؤم هو إنتاج واستعمال الأسلحة الحديثة، بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل، هذا السباق المستمر إلى يومنا. وقد مرتْ على البشرية فعلاً لحظاتٌ أوشكت فيها على الإنزلاق في حرب من هذا النوع، كما سيتضح من المناظرة في هذا الكتاب.

وبنظرة سريعةٍ إلى القرن العشرين نستطيع تمييز علاماتٍ بارزة فكرية أيضاً. فهايدغر[2] رأى أنّ الفكر الغربي انفصل عن وجود الإنسان، وأنّ تقدم التكنولوجيا، على النحو الذي تم فيه، أبعد الإنسانَ ووجودَه (الدازين DASEIN) عن ما سمّاه الكينونةَ الأصيلة أو الحقيقية AUTHENTIC BEING. وقد يبادر قارئٌ إلى القول هنا انّ التطور التكنولوجي ليس خيراً بذاته أو شراً بذاته، ويعتمد على الطريقة التي يُستخدَمُ بها. لكنّ رأيا كهذا، كما يرى هايدغر، لا يشير الى جوانب أساسية في طبيعة التطور التكنولوجي نفسه، بما في ذلك أثره في تغيير طبيعة نظرة الإنسان إلى نفسه والعالم، وعلاقة الإنسان بسؤال كينونته الحقيقية. ففي محاضرته (السؤال المتعلّق بالتكنولوجيا) THE QUESTION CONCERNING TECHNOLOGY (1954) (وهي نسخةٌ معدلةٌ من بعض محاضراته في بريمن، 1949) يرى انّ هذه الطريقة في التفكير نفسها تُبيّنُ كمْ اننا خاضعون، حتى في تصوراتنا، إلى منطق العالم الذي صنعته التكنولوجيا، حيث تصبح فيه الطبيعةُ والبشرُ على حدّ سواء أشبه "بالإحتياطي" أو "الخزين" أو "التجهيزات" التي يمكن توظيفها بهذا الشكل أو ذاك، وهو ما يعني ابتعاداً عن أصالة الوجود

(2) من المعروف ارتباط هايدغر بالحزب النازي لعدة سنوات في مسيرته، وهو ما ظل يمثل نقطة سلبية أثارت جدلاً كثيراً. لكن تتوجب ملاحظة أن فكره لم يصب باتجاه النازية، والنازية نفسها لم توظف فكره كما فعلت مع فكر نيتشه مثلاً (بتشويه كبير طبعاً).

الإنساني وغناه.

وهـذا الإبتعادُ عن طرائق الحياة الأكثـر أصالةً يمكن أنْ نجد له ملامحَ في شـتى انواع النقد التي توجهتْ إلى الأزمة الروحية والفكرية للإنسـان في عصر الحداثة (وما بعدها لاحقاً). ومن الاتجاهات الفكرية الرئيسية في القرن العشرين التي تناولتْ بالنقد النظري العالمَ الرأسـمالي وطرائقَ ومعاني التنوير والعقل والعقلانية والعلم هي مدرسة فرانكفورت ونظريتها النقدية.

فهـذه المدرسـة وجهـتْ نقـداً منهجيـاً قويـاً للنـزوع إلى فصـلِ العلـم والتكنولوجيـا والنظريـة عـن سـياقاتها الإجتماعيـة والتأريخيـة. وانتقـدتْ "التخصصيـة" الضيقـة (وهـو ما يرتبـط بوضـوحٍ بمناظرة هـذا الكتاب)، ومـا سـمّته "العقـل الأداتي" INSTRUMENTAL REASON، أي تحـوّلَ التفكير النظري والعلمي في مسار التطور من الغايات الواسعة التي تَنظرُ إلى الإنسـان ككل، إلى طرائق ضيقة تتعلق بالوسائل لتحقيق هذه الغاية أو تلك على حسـاب الغايات الأوسـع. وتناولتْ أيضاً مواضيـع "صناعة الثقافة"، وكيف تختلقُ الرأسـمالية حاجاتٍ مصطنعة تجعل الناس يعتقدون بالحاجة لها لأغراض ربحية ونفعية بالأساس. والعنوان المعروف لأحد الكتب الرئيسية في مسـار نظرية فرانكفورت، ونقصد (الإنسـان ذو البعـد الواحد) لهربرت ماركـوزه HEREBRT MARCUSE، يعبّر خير تعبير عـن هذا النقد. ويُعتبر يورغن هابرماس الممثلَ الرئيسي حالياً لمدرسة فرانكفورت ونظريتها النقدية التي تدعو إلى تصويب مسـار التنوير، والبحث عن طرائق جديدة لتصويب اتجاهـات العلم والتكنولوجيا والحضارة الحالية. ويمكن بدورنا أنْ نلاحظ، في مـا يخص المناظرة، انّ منطلقاتٍ كهذه أقرب إلى مواقف الطرف المتشـكك

في أطروحة المناظرة، كما سيتضح للقارئ.

أما الماركسية (والتي تختلف عن النظريات الأخرى بأنّ لها جانباً سياسياً مباشراً) فقد شهدت أيضاً في القرن العشرين تطوراتٍ وتغيرات هامة. مثل الثورة البولشفية، وقيام الاتحاد السوفيتي باعتباره تحقيقاً للإشتراكية على أرض الواقع، وبالتالي الوعد بمجتمع أَفْضَل للبشر على هذه الأرض. ونالتْ زخماً اضافياً بعد انتصار الاتحاد السوفيتي والحلفاء على ألمانيا النازية. ولكن ما جرى بعد ذلك أثار عدة مراجعاتٍ وإشكاليات، مثل المرحلة الستالينية، والتباعد بين الأممية البروليتارية بصيغتها الشيوعية التي قادها الاتحاد السوفيتي وبين الأحزاب الشيوعية الأوربية. ثم الثورة الثقافية التي حصلت في أواخر ستينات القرن الماضي لا سيما في فرنسا والصين، وظهور ما عُرف بـ "اليسار الجديد" والاتجاهات ما بعد الماركسية أيضاً. وبعد ذلك ما هو معروف من سقوط الكتلة الشرقية حيث صار سقوطُ جدار برلين رمزاً له، وبدا انّ الرأسمالية انتصرتْ، وهو ما دفعَ بعض المُنظّرين إلى التبشير بمفاهيم مثل "نهاية التاريخ" و"صراع الحضارات"، لفرانسِس فوكوياما وصاموئيل هنتنغتون على التوالي.

بول فيريليو PAUL VIRILIO (1932-2018) من المفكرين البارزين المتحفظين أيضاً على مزاعم التقدم التكنولوجي، بما في ذلك التصورات الماركسية. فالأخيرة، رغم نقدها للنظام الرأسمالي، لها موقفٌ إيجابي بوجه عام ازاء هذا التقدم، بالارتباط مع تصورها عن التطور التاريخي وما يفضي اليه من حتمية انتصار للطبقة العاملة (البروليتاريا) في نهاية المطاف وتحقيق العدالة الإجتماعية. وجانبٌ مهمٌ من نقد فيريليو هو انّ التكنولوجيا بطبيعتها

تتخطى الغايات الموضوعة لها أصلاً، وهنا يمكننا ملاحظة سمةٍ مشتركةٍ هامة بين فكر فيريليو وفكر هايدغر.

و"الدرومولوجيا" DROMOLOGY (أي علم أو منطق السرعة) مفهومٌ هامّ في فكر فيريليو يترك تأثيره على مختلف مجالات الحياة الإنسانية والعمرانية والجمالية. ذلك انّ السرعة التي يحدث فيها شيء ما تُغيّرُ طبيعةَ ذلك الحدث أو الشيء نفسه. وقد ظلّ هذا الموضوع ملمحاً أساسياً في فكره تتناوله أعماله الرئيسية من قبيل SPEED AND POLITICS (= السرعة والسياسة)، وصولاً إلى آخر كتبه المنشورة عام 2012 THE GREAT ACCELERATOR (= المُسرِّع العظيم). وكل هذه الجوانب، التي تترتبُ عليها تغيرات جذرية في طبيعة وطرائق حياة الإنسان، لا تشير إلى التكنولوجيا بما يمكن القول عنه ببساطة "تقدماً" محضاً، بطريقة تفكير أحادية الجانب (وهو ما سيلاحظه القارئ في سؤال غِرْفثس عن الفارق بين "التقدم" و"الاختلاف"، في حواره مع ماتْ رِدْلي، فضلاً عن الحوارات الأخرى).

لقد انتقد ميشيل فوكو في حفرياته المعرفية ما رافقَ الحداثةَ والعصور الحديثة من ظواهر، مبيناً انّ ما تمّ ويتمّ انتاجه من معرفة لا ينفصل مطلقاً عن منطق القوة والسلطة، كما بيّن انّ مجالات الخير العام، مثل تحسين الصحة والإحصائيات والبيانات عن السكان، في الوقت الذي ساعدت وتساعد فيه على تحسين شؤون الناس في المجالات المعنية، فإنها تُعززُ سيطرةً شاملة لتوجيه الناس وضبطهم، بالتحول من الدول المؤسسة على مفهوم الأرض، إلى دولة السكان. بينما رأى دَرِيدا الموروثَ الغربي الأوربي بحاجة إلى

مراجعـة نقدية، وفصلِ الغثّ عن السـمين، والإنفتاح عـلى أفق جديد يطوّر أَفْضَلَ ما فيه من قيمٍ اقترنتْ بحرية التعبير والمساواة وحقوق الإنسان وخير البشريـة[3]. أما جـان ليوتار فقال بـانّ التنوير في عصر ما بعـد الحداثة لم يَعُدْ سوى سردية من "السرديات الكبرى" GRAND NARRATIVES التي ولّى زمانهـا، في الوقـت الذي يرى فيه آخـرون، مثل يورغـن هابرماس، ضرورةَ تصويب التنوير وانه حركة لما تزل مستمرة.

والحقيقةُ انّ الجانب الروحي مسألةٌ مهمة ورئيسية في النقد الموجه للعالم الحداثـي والمعاصر. فالقلقُ بـات يُعرفُ بمرضِ العصر، وانتشـار الاغتراب وحالات الشـعور بالضياع في عالم متسـارع باضطراد يتحرك نحو المجهول، صار شـعوراً عاماً على نطاق واسـع. ومعروفٌ انّ سلام النفس والاطمئنان الروحي عنصر مهم في أيّ تصور للسعادة البشرية، ويتعذَّرُ فصلُ المكتسبات الماديـة عنه. بالمقابل سـيلاحظ القارئ انّ المؤيديـن لموضوع المناظرة (أي من يعتقـدون انّ أَفْضَـل أيام البشر قادمة) يرون انّ الأسـاسَ المادي الملائم يوفر بيئة أَفْضَل حتى للحاجات للروحية.

المفكـرون البارزون في النظرية النقدية المعاصرة يوجهون النقد من عدة جوانـب إلى العـالم الحالي وما ينبؤ بـه من تطورات. فهذا فريدريك جيمسـن يقـول انّ التسـطيح سـمةٌ ملازمـة لمرحلة ما بعـد الحداثة وثقافتهـا التي هي المنطقُ الثقافي للرأسـمالية المتأخرة. بينما يتمسـك آلان باديو بالماركسية، دون

(3) انظر حول هذا الموضوع: نصير فليح، ميراث الغائب: قراءة في الحوار الصحفي الأخير مع جاك دَرِيدا وأبرز الفلسفات المعاصرة المناهضة للتفكيكية، دار نينوى، دمشق، 2018.

التمسك بكل ثوابتها التقليدية بالضرورة. فيما يذهب سلافوي جِيجَك إلى انّ عصرَ ما بعد الحداثة يتّسمُ بحالة من الأزمة الروحية والنفسية الشديدة للإنسان. أما زغمونت باومان فيركّز على هشاشة العلاقات البشرية في مختلف الجوانب التي جلبتها الحداثة وما بعدها.

"الحداثة السائلة" مصطلحٌ لزجمونت باومان متداخلٌ مع مصطلح "ما بعد الحداثة". فالحداثة السائلة حسب ما يراه باومان هي المرحلة التي أعقبت ما يسميه "الحداثة الصلبة"، التي تميزت بالانتاج الصناعي الواسع النطاق مع توسيع الاستهلاك مما بات يُعرف اليوم "بالفوردية" (نسبة إلى هنري فورد). وسلسلةُ الكتب التي أصدرها باومان من قبيل "الخوف السائل" و"الثقافة السائلة" و"الحب السائل" إلى بقية العناوين ذات الصلة (التي تمت ترجمتها مما يعرفه القارئ العربي الكريم) تعبيرٌ عن هشاشة وجود الإنسان والعلاقات الإجتماعية في مجتمعات العالم ما بعد الحديثة (وهو ما لا بدّ أنْ يترك تأثيره على كل العالم في عصر العولمة بدرجات وأشكال متفاوتة). وهذه الهشاشة نفسها يتناولها جِيجَك في نقده لما بعد الحداثة ووضع الإنسان فيها، أيديولوجياً ونفسياً، مستخدماً أدوات المفاهيم اللاكانية (نسبة إلى جاك لاكان)، ولا سيما مفهوم "الآخر الكبير" THE BIG OTHER.

باومان يرى "الحداثة" نفسَها، من الأساس، حركةً دائبةً لا يقرّ لها قرار. فاختلافُ المجتمعات الحديثة أصلاً عن المجتمعات التي سبقتها يتميز بهذه الحركية والديناميكية بكلّ ما لها وما عليها. وعلى حدّ تعبيره فـ "الحداثة هي استحالةُ الإستقرار، أنْ تكون حديثاً يعني أنْ تكون في حركةٍ دائمة". هذا ليس خياراً للإنسان، ونحن مدفوعون بيأس بين جمال الرؤيا وقبح الواقع.

إنـه أشـبه بنوع من الترحال الدائم، وهذه هي مأسـاة الثقافـة الحديثة. فنحن نشعر اننا في موطننا فقط في "التشرد"، بمعنى عدم وجود وضع أو "مرسى" للإسـتكانة اليـه. وهـذه العناصر المميـزة للحداثة في المجتمع الرأسـمالي، كما يرى باومان، تأخذُ أبعاداً أكبر في زمن "الحداثة السـائلة"، إذْ تتغلغل سـماتُ عدم الاسـتقرار والهشاشـة في عمق البنية الإقتصادية-الإجتماعية-النفسية، لتـذوب الروابـط والعلاقات السـابقة بكل ما يترتب عن ذلـك من نتائج في وجود الإنسان وطريقة حياته.

جِيجَك يرى أيضاً هذه الهشاشة النفسية سمةً مميِّزةً من سمات مجتمعات مـا بعد الحداثة. ذلـك انّ مرحلة ما بعد الحداثة تتميـز بغياب أو تراجع تأثير مختلف الأعراف أو التقاليد أو القوانين الجمعية في سيكولوجية الإنسان (أي تراجع "الآخر الكبير" و"الكفاءة الرمزية" حسب المصطلحات اللاكانية)، وتفضي إلى حلقة مفرغة تتجسـد في مزيدٍ من السـعي للاسـتهلاك أو إرضاء الرغبات دونما نهاية أو ضابط. صحيحٌ انّ ثمةَ جانباً إيجابياً في تخطي الأعراف والتقاليـد والقوانين التي قد لا تخدم إلا القلّة فقط، لكن الجانب السـلبي هو أنّنا "نحصل على أكثر مما راهنّا عليه" حسب تعبير جِيجَك. بمعنى انّ غياب أيّ نوع من هذه القوانين، لجهة التأثير النفسي، يحوّل كل شيء بالنسبة للإنسان إلى مسـألة "اختيـار"، في عـالم تتمثـل الأيديولوجيا المهيمنة فيـه بالوصية أو الشعار الشائع: "اسـتمتع!" !ENJOY. ويستشهد بما تبينه الإحصائيات من تراجـع الاهتمام بالافراط الجنسي في المجتمعات الغربيـة (فضلاً عن ارتفاع معـدلات الكآبة) كردّ فعلٍ على النهايات المغلقة التي تؤدي اليها هذه الحلقة

السيكولوجية المفرغة[4].

وفي سياق المناظرة سيلاحظ القارئ تبايناً كبيراً بين وجهتي نظر متعارضتين، رغم منطلقاتهما التي تشترك بالسعي لخير البشرية، وتشترك أيضاً بالإقرار بالإحصائيات الواردة. فصحيح انّ الإحصائيات تشيرُ إلى تقدم البشرية في المجالات المطروحة من قبيل الصحة العامة، كبحِ المجاعات، والحروب الأقل عدداً وضحايا، وانتشار أوسع للديمقراطية، وما إلى ذلك مما سيطلع عليه القارئ، لكن، بينما يرى المؤيديون انّ العالم يتقدم، وانّ أَفضَل أيام البشر قادمة على الطريق، في الاحتمال الأغلب (بالاستناد إلى هذه الإحصائيات والأرقام) فإن المشككين بذلك يرون انّ هذه الوقائع والأرقام لا يمكن التعويل عليها كثيراً إذا ما نُظر إلى الصورة الكلية. فهذه التقدمات في مجالات معينة هي نفسُها ما يولّد مخاطرَ جديدة في مجالات أخرى تنذرُ بخروجها عن السيطرة، كما يعتقدون انّ المخاطر الكامنة أوسع نطاقاً وأكثر جذرية رغم التقدم، فضلاً عن تأكيدهم على انّ كل هذه التقدمات تجري على حساب جوانب روحية ونفسية، هي جزء أساسيٌّ لا يتجزأ من الإنسان.

---

(4) انظر: نصير فليح، سلافوي جِيجَك، (سلسلة ما بعد دَريدا: فلاسفة وفلسفات معاصرة من القرن الحادي والعشرين)، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2019. وهذا جانب يرتبط بشكل وثيق بموضوع «الأيديولوجيا»، مما لا يتسع المجال للتفصيل فيه هنا. لكننا نشير على عجل إلى أبرز محطات مناقشته، كالماركسية التي رأت الأيديولوجيا نوعاً من «وعي زائف»، والغرامشية التي قدمتها بأنها نوع من الهيمنة اللاعنفية، وتمييزات لويس التوسير بين أجهزة الدولة القمعية REPRESSIVE STATE APPARTUS RSA وأجهزة الدولة الأيديولوجية IDIOLOGICAL STATE APPARTUS ISA، ومقاربات جِيجَك الهامة المستندة إلى التحليل النفسي اللاكاني في استكشاف طرائق تأثير الأيديولوجيا في عالمنا الحالي، ورفضه لدعاوى من قبيل دخولنا في عصر "ما بعد الأيديولوجيا". وكل هذا بالطبع يُختَلفُ عليه كثيراً بين المنظّرين وأفكارهم، وكونها أكثر قرباً أو بعداً من اليمين او اليسار.

وبخصوص المخاطر والمشاكل التي تأتي مع كل حلولٍ جديدة لمشاكل معينة، ثمة موضوع مهمّ وفي صُلب المناظرة رغم أنّ المتناظرين لا يأتون على ذكره بالإسم، وهو ما يُعرف بنظرية "مجتمع المخاطرة" أو "مجتمع المجازفة" RISK SOCIETY، وهي نظرية تتماهى إلى حد بعيد مع ما يطرحه مالكولم غلادويل.

نظرية "مجتمع المخاطرة" ترى أنّ المرحلة التي أعقبتْ الحرب العالمية الثانية أدخلتْ البشرية في وضع جديد غير مسبوق، ناجمٍ عن تدخل الإنسان في البيئة المحيطة به. بحيث أنّ توقع نتائج ما يترتب على أفعاله أمسى أصعب كثيراً، وكلّ حلٍّ لمشكلة معينة يجلب معه اشكاليات أخرى جديدة ومخاطر غير منظورة، وأنّ البيئة او قوانين الطبيعة لم تعد قادرة على تصويب نتائج أفعالِ الإنسان وتدخلاته واعادة المسار الصحيح. ومع أنّ هذه المخاطر من حيث الاحتمالية ضعيفة، فإن واحداً منها، لو تحقق، قد يكون ذا نتائج كارثية على الجنس البشري، أي ما يُعرف بصيغة (إحتمالات ضعيفة/ عواقب جمّة). ومن أبرز هذه المخاطر المخاطر البيئية، فضلاً عن ما نتجَ ويَنتجُ عن عصر التصنيع والتكنولوجيا من عواقب غير محسوبة، قد لا تظهر عاجلاً بالضرورة.

عالمُ الإجتماع الألماني أولرش بيك ULRICH BECK أوّلُ من صاغ مصطلح "مجتمع المخاطرة" في كتابه RISK SOCIETY: TOWARDS A NEW MODERNITY (مجتمع المخاطرة: نحو حداثة جديدة)، الذي نُشر بالألمانية عام 1986، وتُرجم إلى الإنكليزية عام 1992. وهو يحددُ المرحلة التي دخلتْ بها البشرية مجتمع المخاطرة هذا في الفترة التي أعقبت

الحرب العالمية الثانية. وليس أولرش بيك هو الوحيد في طرح نظرية "مجتمع المخاطـرة"، بـل ثمة علماء آخـرون من أبرزهم أنتـوني غدنز ANTHONY GIDDENS، عالم الإجتماع البريطاني الشهير.

لقد كانت دائماً هناك مخاطر وكوارث تهدّد الجنسَ البشري عبر التاريخ، مثـل الطواعـين، الأمـراض المـُعديـة، الكـوارث الطبيعية. لكـن مع دخول البشريـة في مرحلـة الحداثـة، مرحلة التصنيـع والتكنولوجيـا، باتت البشرية في وضـع جديـد. حيث تمت السـيطرة على بعض هذه المخاطـر (كالطواعين مثـلاً)، كما ظهـرت شركات التأمين أيضاً للتعامل مع المخاطر التي يمكن أنْ تواجه الإنسـان مثل الشـيخوخة، أو الحوادث، أو الوفاة وما شـابه. لكن ما يميز المرحلة الجديدة من المخاطر في "مجتمع المخاطرة" كونها مخاطر لا يمكن تحديد أسـبابها بدقة، وأنّها ناجمةٌ عن تدخل الإنسـان صناعياً وتكنولوجياً في العالم والبيئة المحيطة به، وهي ذات نطاق عالمي، وأنّ اجراءات مواجهة هذه الحالة أو تلك، في ضوء الوضع السياسي-الإقتصادي القائم، أو بالاستشارة العلمية للخبراء في المجال المعني، قد تُنتجُ نفسُـها مجموعةَ مخاطر جديدة غير محسوبة.

فالاحـترارُ العالمـيّ، أو خـزنُ الأسـلحة النوويـة لفـترات طويلـة، أو التداخـل الجيني في سلاسـل الغذاء الطبيعيـة، وتلوّثُ الأجـواء الناجم عن انبعاثات الكربون، أو تلوثُ البحار بالفضلات البلاسـتيكية، كلّها عمليات باتت ذات نتائج أوسع وأكثر تعقيدا من القدرة على السيطرة المعتادة بواسطة الاجـراءات الاقتصاديـة أو السياسـية أو العلمية. مجموعـة المخاطر الجديدة تختلـف عـن السـابقة بكونها نتـاج مرحلة الحداثة نفسـها، وليس لهـا الطابع

القَـدَريّ الغيبـي الذي كانـت تُقرنُ بـه المخاطر والكوارث السـابقة. فتفشي الأمراض المـُعدية، أو الكوارث البيئية التي كانت تحدث في المراحل السـابقة للحداثة، كانت تُفسَّر عادة بإرادة إلهيةٍ أو قَدَرية تقع خارج سـيطرة الإنسان. بينـما مجموعـة المخاطر التي بات ينـذر بها "مجتمع المخاطـرة" ناجمة تماماً عن مرحلة الحداثة وتدخلِ الإنسان في ما يحيطه.

ونظرةٌ إلى بعض الكوارث التي حدثت في العقود الماضية، من الأمراض غـير معروفـة سـابقاً، أو الأعاصير والحرائـق التي بلغـت في بعض الحالات نطاقات غير مسـبوقة، أو كارثة تشـيرنوبل التي نجمت عن فقدان السـيطرة على ذخيرة ضخمة من الترسـانة النووية - هذه الترسـانة التي بوسـعها إبادة الكرة الأرضية نفسـها - كلها مؤشرات على انّ شـبح المخاطر الكونية لم يَعُدْ مجرد افتراضٍ نظري. فضلاً عن الصراع النووي نفسه الذي وصل في لحظات معينة إلى حافة الإندلاع.

ويتوجـب الانتباه هنا إلى انّ التطور العلمـي والتكنولوجي لا يجري في فـراغ، وليس مجردَ نتيجة بسـيطة لما يجـري في المختبرات المعزولـة عن العالم، وهو مندرجٌ بالضرورة ضمن سـياق إجتماعي-سـياسي-إقتصادي معين في حقبة تأريخية معينة. وعليه، لا الاتجاهات التي تطور بها العلمُ والتكنولوجيا في المـاضي، ولا مـا يجـري الآن، معزول عن سـياقه. ومن منظـور كهذا فإن راي العلماء والخبراء، في هذا الشـأن أو ذاك من التحديات البيئية أو المخاطر المحتملـة، قـد يتـم التعامل معـه وتكييفه مـع النظام السـياسي-الاقتصادي القائـم. وفي هـذا النظـام لا يبـدو ثمـة الكثـير ممـا يدعـو للتفـاؤل. فحتـى الإتفاقيـات التـي أُبرمتْ بين القوى العالمية بخصوص بعض المسـائل البيئية

الحرجة والهامة، مثل مشكلة الإحترار العالمي، ما تزال عرضةً لانسحاباتٍ وخروقات مستمرة حسب إملاءات المصالح.

ومن الأمثلة المعاصرة على هذا الجدال والصراع في الآراء، مما تابعه القارئ ربما، ما جرى في الولايات المتحدة في الأعوام الأخيرة بعد الأعاصير الكبيرة والحرائق التي ضربتها، والجدال الحاد بين من عَزَوا ذلك إلى التغيرات البيئية التي دخلت مرحلة جديدة من الأخطار، وبين المواقف الرسمية التي رفضت هذا التفسير واعتبرته خرافة أو مبالغة.

أما ما يطرحه الآنْ دو بوتون في هذه المناظرة فيتماهى بدرجة كبيرة، كما نرى، مع ما يُعرف بـ"الاتجاهات ما بعد الإنسانوية" POSTHUMANISM (حيث تُعتبر جودِث بتلر JUDITH BUTLER، وبرونو لاتور BRUNO LATOUR، ودونا هاراوَي DONNA HARAWAY من أبرز ممثليها المعاصرين في قرننا الحالي)، وفيه اتساقٌ ملحوظ بوجه خاص مع نظريات دونا هاراوي عن "السايبورغ" واجناس المستقبل.

مفهوم "السايبورغ" CYBORG مفهومٌ رئيسي في فكر هاراوَي، وهو عبارة عن كائن هجين أو تركيب من المواد العضوية والأجهزة الألكترونية والميكانيك. ولعلّ كثيراً من القراء العرب شاهد افلاماً سينمائية من أفلام الخيال العلمي عن كائنات من هذا النوع، لكن للموضوع أبعاده المعرفية النظرية والواقعية أيضاً، بالاقتران مع تطورات البحوث في حقول البايولوجيا والوراثة والتكنولوجيا والسيبرنيطيقا. ولهذا المفهوم أو الكائن ظلاله التي يلقيها على العالم الحالي ومستقبله، سواء على مفهوم "الإنسان" وطبيعته وحدوده وآفاقه، أو مواضيع التطور العلمي التقني (التكنو-علم)

واتجاهاتـه التي يسـير فيها وما يمكـن أنْ يفضي اليه. وفي رؤية هـاراوَي فإنّ الحركـة الجاريـة باتجاه "السـايبورغ" كفيلـةٌ بتخطـي، او التمهيـد لتخطي، إشكاليات مزمنة في التاريخ البشري مثل أسئلة السعادة والأمراض والتمييز على أساس الجندر أو العرق أو العنصر وما شابه. وواضح مدى التقارب بين رؤيـة كهذه وما يطرحه دو بوتون عن "تشـاؤمه الواقعي" بخصوص امكان اصلاح الجنس البشري الحالي.

وهـذا يحيلنا أيضاً إلى ما سَـيرِدُ في المناظرة في أكثـر من موضع عن العلم والخيـال العلمـي. ومـن المفيـد الإشـارة هنـا إلى ضرورة التمييز بـين العلم والبحـث الفكـري مـن جهـة، وتجليـات الخيـال العلمـي من جهـة أخرى. فالأفـلام الهوليوودية، مثـلاً، التـي يعرفهـا مشـاهدونا، دأبـت عـلى تقديم مواضيـع من هذا النوع ممزوجةً عادة بالإثارة لجذب المشـاهدين (الأكشـن، حـرب النجوم، بشر آليين...الخ). ولكن المقاربـة العلمية والنظرية الرصينة لموضـوع التطور العلمي والتكنولوجي، وما يترتب أو يمكن أنْ يترتب عليه - بما في ذلك موضوع "السـايبورغ" - شيءٌ آخر. فنظرةٌ إلى التطور المسـتمر الواقعي للعلم والتكنولوجيا، تشـير إلى حركتهما بثباتٍ واسـتمرارية وانّ ما قـد نتصـوره خيالاً اليوم قـد لا يكون كذلـك بعد قرن من الزمـان مثلاً، كما حـدث كثـيراً في التاريخ. والاسـتخدام الحالي لبعض الأجـزاء الألكترونية، مثـل أجهزة تنظيم ضربات القلب او الأطراف الصناعية الأكثر تطوراً، جزءٌ واقعي من هذه الحركة، رغم محدوديته.

وبشأن الموضوع الآخر الرئيسي في المناظرة، أي تغيرات المناخ وتهديداتها الوجودية للإنسان (وهو ما يتفق المتناظرون الأربعة على خطورته الكبرى)،

فـإنّ نظريات البيئـة أو الخُضر، بالإضافة إلى كفاحها الإجتماعي والسـياسي، تتنـاول الموضـوع فكريـاً وفلسـفياً أيضاً في سـياق نقدهـا لمفاهيـم "العلم" و"العقل" و"التنوير" و"الإنسـان" التي تطورت في مجرى الحضارة الغربية الحاليـة. ولعل مـن أبرزها الاتجاه الفكـري المعـروف بالإيكولوجيا العميقة DEEP ECOLOGY (ورائـده هو الفيلسـوف والمفكـر النرويجي آرنه ناسْ ARNE NAESS) الـذي يركّـز عـلى تقديـم بديـل حضـاريّ أكثر إنسـانية وجمـالاً، طريقة حياة جديدة تتكامل مع العـالم، لا تتجاهل الأبعاد الروحية، ولا تدمر البيئة في حمّى السعي إلى مزيدٍ من الإنتاج ومزيد من الإستهلاك.

الرأي والرأي الآخر:

إحدى الميزات الهامة لكتبٍ كهذه انّها تقدم وجهات النظر المتباينة الحاذقة بشـأن مواضيـع قد يتصورهـا كثير من قرائنـا العرب "محسـومة" أو "بديهية و"مفهومـة". وبالتالي، فتقديم معرفـة لا قطعية وتعددية، حول مواضيع بهذه الدرجـة مـن الأهمية والشـمولية، لا بدّ أنْ يُسـهم في توسـيع الأفق المعرفي، ويصبّ في مجـرى التنوير (المقترن بحرية العقـل والتفكير بالضرورة) والروح النقديـة، التي لا تقبل شـيئاً قبـولاً تاماً على علّاته أو ترفضه رفضاً تاماً مسـبقاً أيضاً[5].

فمـما يمكن ملاحظته بسـهولة في واقعنـا الثقافي العربي، بشـأن الموقف مـن العلـم مثـلاً، انّ المواقف غالبـاً ما تكون مسـتقطبة: مع/ ضـد، أبيض/

(5) وهو ما نعمل على تناوله في كتاب نقدي عن واقعنا الثقافي العراقي والعربي.

أسـود (كما هي الحـال في التعامل مع معظـم المواضيع الرئيسـية غالباً). بينما نلاحـظ في المناظـرة انّ كلا الفريقـين المتناظريـن، رغـم تعارضهما الشـديد، بعيـدان عن القطعيـة (قرينة الجمود والجهـل وقلة المعلومات) سـواء كانت بأشكالها الدينية أو اللادينية. وكلاهما مستندان إلى الواقع والوقائع، ومثمّنان للعلـم وانجازاته، مثلما همـا متوافقان على انّ انجازات الماضي ليسـت ضماناً للمسـتقبل، فلا يسـتبعدان تماماً بالتالي احتمالات التدهور في المستقبل، سواء بحـرب شـاملة أو تغير كارثيّ في المنـاخ أو زيادة في السـكان أو حتى ارتطام كويكب بالأرض.

مع هذا نلاحظ أنّ فريق المتحمسـين للعلم والتقدم، ليس "بالعلموية" التي يتبناها الكثير من "علموييّنا"، فهو يرى انّ علينا المحاولة، ولدينا أسباب كافيـة للتفاؤل. مثلما انّ فريق المتشـكيين لا يقلل مـن اهمية العلم مطلقاً، ولا من الإحصائيات الواردة، ولا الوقائع، ولا يسـتند إلى خرافات أو أسـاطير، ولكنـه يدعو لما يراه منظوراً أوسـع أفقاً. وكل هذا وسـواه سـيراه القارئ في الحـوارات الذكيـة والدقيقـة والبارعة بين بـين أربعةٍ من أبـرز مفكري عالمنا المعـاصر، ممـن يُقدّمـون اراءهم بكفاءة عاليـة، وعلى قاعدة قويـة من المعرفة والوقائع، رغم تعارضها أشدّ التعارض.

نصير فليح – بغداد

2019



رسالة من بيتر مَنْك

منذ أنْ بدأنا مناظرات مَنْك، زوجتي مالين مَنْك وأنا، كنّا مسرورَين كثيراً للسرعة التي استحوذتْ بها على المخيال العام. منذ أوّل مناظرة عام 2008، استضفنا ما أعتقده عدداً من مناظرات السياسة العامة الأكثر إثارة في كندا والعالم. مناظرات مَنْك، بتركيزها على الشؤون العالمية، تناولتْ مواضيع مثل التدخل البشري، تأثير المساعدات الخارجية، تهديدات الاحترار العالمي، صعود الصين، وانحدار أوربا. هذه المواضيع الرئيسية كانت خميرةً فكرية وأخلاقية لعددٍ من أبرز مفكري وفاعلي العالم، من هنري كيسنجر إلى توني بلير، من كرستوفر هتشنز إلى باول كروغمان، من بيتر ماندلسن إلى فريد زكريا.

المواضيع التي أثارتها مناظرات مَنْك لم تحفّز الوعي العام فحسب، وانما ساعدت العديد منّا أيضاً لنكُون أكثر اهتماماً، وبالتالي، أقلّ تهيباً من مفهوم العولمة. من السهل جداً أنْ ينظر المرء صوب الداخل. من السهل جداً أنْ نكُون مرتابين ببشر المجتمعات الاخرى، من السهل جداً أنْ نكون ذوي نزعاتٍ وطنية، ولكن من الصعب الدخول في المجهول. العولمة، بالنسبة لأناس عديدين، هي فكرةٌ مجردةٌ في أَفضَل الاحوال. وغرضُ هذه السلسلة من المناظرات هو مساعدة الناس على الشعور بأُلفةٍ أكبر مع عالمنا السريع التغير، والشعور براحة أكبر في المشاركة في حوار عالميّ عن المواضيع والأحداث التي ستشكّل مستقبلنا الجماعي.

لا حاجة بي لإخباركم ان ثمة الكثير جداً من المواضيع الساخنة. الإحترارُ العالمي، معضلةُ الفقر المدقع، التطهير العرقي، ونظامنا المالي المهزوز، هذه فقط قليل من المواضيع الحرجة التي تهمّ الناس. ويبدو لي، ولأعضاء مجلس مؤسستي، انّ نوعية الحوار العام في هذه المواضيع الحرجة يتضاءل بتناسبٍ مباشرٍ مع بروزها وعددها الذي يتطلب انتباهنا. وعبْرَ محاولة التركيز على المواضيع الأكثر اهمية في اللحظات الحرجة في الحوار العالمي، فإنّ هذه المناظرات لا ترسم فقط صورةً لأفكارِ وآراءِ عددٍ من ألمع مفكري العالم، وانما تُبلورُ المعرفة والشعور العام، وتساعد في تناول بعض التحديات التي تواجه الجنس البشري.

تعلمتُ من الحياة – وأنا واثقٌ انّ العديد منكم يشاركني الرأي – انّ التحديات تستجلب أَفضَل ما فينا. وآمل انكم توافقون على انّ المشاركين في هذه المناظرات لا يتحدّون بعضهم البعض فحسب، وانما يتحدّون كلاً واحد

منا لأنْ يفكر بوضوحٍ ومنطقية بشأن المشاكل الأكثر أهمية التي تواجه عالمنا.

بيتر مَنْك

مؤسس مؤسسة آوريا

تورنتو، أونتاريو

مقدمة روديارد غْرِفِثس

«هل أَفضَلُ أيامِ البشر قادمة؟» كانت نقطةَ تحولٍ في سلسلة مناظراتنا. ذلك لأننا استمررنا لعقدٍ من الزمان تقريباً في مناظرات مَنْك نصف السنوية بالتركيز أساساً على المواضيع الساخنة الجيوسياسية، الاجتماعية، الإقتصادية، أو التكنولوجية. إذاً لماذا قررنا فجأة أنْ يَكونَ لمناظرة خريف 2015 منعطفٌ فلسفيّ قويّ؟ نعتقد انّ العديد من المناظرات الأوسع التي نتناولها حالياً كمجتمع مُتضمَّنةٌ في المعضلة البشرية الدائمة عمّا إذا كنا نتقدم كجنس بشري أم لا.

العديد من المعلِّقين ينظرون إلى الاضطراب الحالي في أحداث العالم ويرون انحداراً بطيئاً وثابتاً في النظام المؤسَّس على قواعد وفي التقدم الاقتصادي

الذي وسمَ نصف القرن الذي أعقب الحرب العالمية الثانية. آخرون يعتقدون انّ تشتيت قوى الدول إلى فاعلين غير مرتبطين بدولة مثل منظمات المجتمع المدني والتحالفات والمؤسسات العالمية - كل هذا معززاً بوسائل الاتصال الفورية والشبكات الاجتماعية التي تغطي العالم - يبشّرُ بحقبة جديدة من السلام والازدهار. أنصارُ ثورةٍ تكنولوجية «ثانية» يتبصّرون بمستقبلٍ ذي معايير حياة عالية، وميادين جديدة من التعاون والتعبير الفردي والجماعي، وكوكب أكثر نظافةً وأكثر خضرة. أما المنتقصون من هذا الرأي فيحاججون كيف انّ التكنولوجيات الجديدة تغذي اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية، وتعززُ قدرة الدول على انتهاك خصوصية مواطنيها وتُبعد البشر عن العمل الجاد والتضحية الضرورين للإبقاء على حياة يمكن إدامتها على كوكب الأرض.

بايجاز، بالنسبة لنصفٍ منا، مهما كان الموضوع أو التحدي، فإنّ القدح نصف فارغ. بينما للنصف الآخر من الجنس البشري، القدح نصف ممتلئ. على المستوى الخاص، نحن إمّا متفائلين او متشائمين حول حالة ومستقبل حيواتنا، مجتمعاتنا، والحالة البشرية الأشمل.

مناظرة مَنْك عن التقدم كانت جهداً واعياً لدفع أكثر من 3000 شخص ممن ملأوا قاعة روي تومسن في تورنتو لاختيار أحد الجانبين، بحسمٍ، بشأن هذه المعضلة الدائمة في عصرنا الحديث، باعادة صياغة اطروحتها أو موضوعها: هل أَفضَلُ أيامِ البشر قادمة، أم لا؟

طُلبَ من الجمهور قبل بدء الفعالية الإجابة على السؤال. وفي نهاية الساعة ونصف من السجال، قام الجمهور بالتصويت ثانية. والمناظرة

السريعة الايقاع والممتعة جداً في الصفحات التالية بكل ما فيها من سخريات وهجومات ودفاعات بلاغية انتهتْ بتغيير القليل فقط من الآراء. إذا اردتَ أنْ تكتشف ما إذا كنتَ تعتقد انّ القدح الجماعي للبشر نصف ممتلئ او نصف فارغ، استمرَّ بالقراءة. أضمنُ انّ هذه المناظرة الموسِّعة للفكر ستمسكُ بك إلى آخر كلمةٍ فيها.

روديارد غْرِفِثْس

رئيس مناظرات مَنْك

تورنتو، نوفمبر 2016

هل أَفضَلُ أيامِ البَشر قادمة؟

روذْيارد غْرِفِثْس: مساء الخير. إسمي روذْيارد غْرِفِثْس وأنا مدير مناظرات (مَنْكْ). ومن دواعي سروري أنْ تكون لي الفرصة لإدارة مناظرة اليوم. أريدُ أنْ أبدأ الأمسية بالترحيب بمشاهدي التلفزيون على امتداد أميركا الشمالية ممن يشاهدون المناظرة، وكل شخص من قناة كندا التلفزيونية للشؤون العامة CPAC، وأيضاً الـ C-SPAN عبر الولايات المتحدة. تحية حارة أيضاً لكل المشاهدين على الشبكة العنكبوتية ممن يتابعون هذه المناظرة الآن على موقع WWW.MUNKDEBATES.COM فمن الرائع أنْ تكونوا مشاركين افتراضيين في مجريات هذه الأمسية. وأخيراً، تحية لكم، أنتم الأكثر من 3000 شخص الذين جاؤوا لقاعة روي تومسن لحضور هذه المناظرة فقط بعد أسابيع من مناظرة (مَنْكْ) عن الانتخابات الكندية. من الرائع أنْ نراكم هنا في هذه الأمسية.

مناظرة اليوم نقطة انطلاق مختلفة بالنسبة لنا. فنحن لن نتحدث اليوم عن موضوع جيوسياسي محدد أو موضوع ثقافي. بدلاً عن ذلك، سنفكر

بشكل أوسع. سوف نتفكر في طبيعة مجتمعنا، وأعمق قناعاته ومعتقداته، وكل ذلك في سياق السؤال الذي نطرحه هذا المساء: هل أَفضَل أيام البشر قادمة؟

للتفكُّر في هذا السؤال الكبير، الذي عصف في مجتمعنا وحضارتنا لأكثر من قرنين من الزمان، أتينا اليكم على هذه المنصة في تورنتو بأربعة أشخاص ممن نعتقد انهم أذكى العقول وألمع المفكرين في حقولهم الفكرية.

ولكن قبل البدء، أود الإشارة إلى انّ أياً من هذه المناظرات لم يكن ممكناً من دون كرم ومساعدة وبصيرة مُضيفينا هذا المساء. رجاء شاركوني الامتنان للسيد والسيدة بيتر مَنْك ومالين مَنْك ومؤسسة (آوريا).

لنأتِ بمتناظرينا هنا إلى المنصة، وموضوعنا هو: «هل أَفضَل أيام البشر قادمة؟».

رجاء رحبوا معي بالمتناظَرين المؤيِّدَين[1]. إبن مونتريال، العالِم الريادي في حقل الإدراك، الباحث والكاتب الشهير عالمياً ستيفن بنكر.

شريك ستيفن في فريق المؤيدين هو عضو في مجلس اللوردات البريطاني. صحفيٌّ ذائع الصيت، ومشارك في صحيفة التايمز اللندنية، ومؤلف سلسلة من الكتب الكبيرة الأَفضَل مبيعاً في العالم عن مواضيع تقع في التقاطع بين دراسات التطور، الأيديولوجيا، التأريخ، والتقدم. إنه ماتْ رِدْلِي. ماتْ تفضل هنا، من الرائع أنْ تكون معنا.

(1) أي المؤيدين للقول بأنّ أَفضَل أيام البشر قادمة.

حسناً، انّ فريقاً عظيماً من المتناظرين من كبار المفكرين، يستحق فريقاً عظيماً آخر. رجاء رحبوا معي بالمؤلف، والمذيع والمفكر المقيم في المملكة المتحدة، وواحد من أبرز الفلاسفة الجماهيريين في جيله، آلانْ دو بوتون.

وشريك آلانْ في الفريق المتحفظ شخص نقرأ له بانتظام في مجلة (نيويوركر) حيث انه من كتاب المجلة. كما قرأنا بعضاً من كتبه أيضاً. وسمعتُ انّ هناك أكثر من عشرة ملايين منها تحت الطبع. أيها السيدات والسادة، رحبوا معي بابن كندا مالكولم غلادويل.

لنمرَّ سريعاً على بعض الإشارات قبل المناظرة.

أولاً: ساعة العدّ التنازلي. وهي التي ستضمن التزام المتناظرين بوقت الحديث وبقاء المناظرة في الزمن المحدد. وبالنسبة لمن لم يحضروا سابقاً مناظرات مَنْك، فعندما ترون الوقت في الساعة يشير إلى الصفر، رجاء شاركوا معي بالتصفيق لمتناظرينا، لأن ذلك سينبههم إلى انّ وقت الحديث المخصص لأحدهم قد استنفد.

وثانياً: أودّ مراجعة نتائج الاستطلاع التي حصلنا عليها مع بداية هذه الأمسية. كل الثلاثة الآف شخص الذين جاؤوا اليوم للحضور تم سؤالهم للتصويت عن اطروحة المناظرة. والنتائج مثيرةٌ للاهتمام. 71 بالمئة وافقوا على انّ أَفضَل أيام البشر قادمة، و29 بالمئة لم يوافقوا. فالكأس نصفُ مملوءةٍ لهذه المجموعة[2].

(2) بمعنى انّ المجموعة غير الموافقة أو المتشككة بأن أَفضَل ايام البشر قادمة، تنظر إلى النصف الفارغ والممتلىء من الكأس، أي الايجابي والسلبي.

ولكن كما نعرف فإن هذه المناظرات تُغيِّر وتتغير، انها مرنة. ولهذا سألنا كل من حضر أيضاً: بالاستناد إلى ما ستسمعه هذا المساء، هل ترغب في تغيير تصويتك خلال الساعة ونصف الساعة المقبلة؟91 بالمئة منكم أجاب "نعم". وفقط 10 بالمئة كانوا متفائلين ملتزمين بالتفاؤل. وهكذا فإن لدينا بين أيدينا مناظرةٌ حقيقية اليوم.

الآن، سأطلبُ الحديث الافتتاحي لهذه الأمسية والذي يكون، كعادتنا في هذه المناظرات، لفريق المؤيِّدين.

ستيفن بنكر، دقائقك الثمان تبدأ الآن.

ستيفن بنكر: مواطنيّ الكنديين، مواطني العالم، أنوي أنْ أُقنعكم انّ أَفضَل أيام البشر قادمة. نعم، قلتُ "أقنعكم". المنتقصون من فكرة التقدم يتحدثون عن الإيمان أو الاعتقاد بالتقدم، ولكن لا شيء يتعلق بالإيمان هو ما يؤسس للقناعة بوجود التقدم. فهمُنا للوضع البشري يجب أنْ لا يكون مؤسساً على الأساطير أو السقوط من الفردوس أو الصعود إلى يوتوبيا، ولا في جينات الأمزجة المشرقة أو المعتمة، أو مِن أيّ جانب من السرير نهضتَ من النوم هذا الصباح[3]. ولا يتوجب أنْ يأتي من عناوين الأخبار الرئيسية. فالصحفيون يغطون سقوط الطائرات، وليس الطائرات التي تقلع. فما دامت الأشياء السيئة لم تختف تماماً من كوكب الأرض، فسيكون دائماً هناك عدد كافٍ من الأخبار السيئة لملء نشرات الأخبار. والناس سيعتقدون، كما فعلوا لقرونٍ من الزمان، انّ العالم ينهار.

(3) تلميحٌ إلى الجوانب التي لا أساس قوياً لها.

الطريقة الوحيدة لفهم مصير العالم هي الوقائع والأرقام، أنْ نبين حدوث الأشياء الجيدة والسيئة الجارية مع الوقت - ليس فقط في الأماكن الجذابة مثل كندا وإنما في العالم بمجمله - لنرى إلى أين تتجه الأمور، ونحدد القوى التي تحركها. اسمحوا لي بهذا مع عشرة جوانب تتحرك ايجابياً في الحياة.

أولاً: الحياة نفسُها. قبل قرن ونصف من الزمان، كان معدل عمر الإنسان 30 عاماً. اليوم هو سبعون. ولا إشارت انّ هذا المعدل في اتجاه الإنخفاض.

ثانياً: الصحة. انظروا إلى موضوع "الجدري" SMALLPOX و"طاعون الماشية" CATTLE PLAGUE في الويكيبيديا WEKEPEDIA ستجدون انّ التعاريف في الزمن الماضي[4]: "الجدري كان مرضاً" مما يعني انّ اثنين من أكبر مصادر الشقاء في الوجود البشري تم اقتلاعهما للأبد. ونفس الشيء ينطبق على شلل الاطفال ومرض الدودة الغينية، ونحن الآن نقضي على القسم الأعظم من مرض الأنكلستوما، الملاريا، داء الخيطيّات (الفيلاريّات)، الحصبة، الحصبة الألمانية (الحميراء)، والدّاء العُلّيقي YAWS.

ثالثاً: الازدهار. قبل قرنين من الزمان، كان 85 بالمئة من سكان العالم يعيشون في فقر مدقع. اليوم النسبة هي 10 بالمئة. وحسب الأمم المتحدة فإنه مع حلول عام 2030 يمكن أنْ تصل النسبة إلى الصفر. ففي كل القارّات

(4) طبعاً يشير هنا إلى ويكيبيديا بالإنكليزية، وهي مختلفة كثيرا كمّاً ونوعاً ومادةً عن ويكيبيديا العربية.

يعمل البشرُ ساعاتٍ أقلّ وينالون مزيداً من الطعام، الملابس، الاضاءة، التسلية، السفر، المكالمات الهاتفية، المعلومات، والجعّة.

رابعاً: السلام. إنّ أكثر افعال البشر تدميراً، أي الحرب بين الأمم القوية، آيلةٌ إلى زوال. البلدان المتقدمة لم تنخرط في حرب منذ سبعين عاماً، أما القوى العظمى فلم تتحارب منذ ستين عاماً. الحروب الأهلية لا تزال موجودة ولكنها أقل تدميرا من الحروب بين الدول وهناك الأقلّ منها أيضاً. وهذا الدبوس على صدريتي هو تذكارٌ من رحلة قمتُ بها في بداية هذا الأسبوع إلى كولومبيا، والتي هي في مرحلة إنهاء آخر حرب في نصف الكرة الأرضية الغربي[5].على المستوى العالمي انخفض المعدل السنوي للموت جراء الحروب بشكل كبير من 300 شخص لكل مئة ألف نسمة خلال الحرب العالمية الثانية، إلى 22 في الخمسينيات، 9 في السبعينيات، 5 في الثمانينيات، 1.5 في التسعينيات، 0.2 في العقد الاول من القرن الحالي. وحتى الحرب الأهلية الفضيعة في سوريا لم ترفع النسبة إلا إلى ما كانت عليه عام 2000.

خامساً: الأمن. المعدلاتُ العالمية للجريمة تنخفض بشكل كبير في أماكن عديدة. وعلماء الجريمة البارزون يرون استناداً إلى الإحصائيات انّ معدلات القتل على المستوى العالمي ستنخفض في الثلاثين عاماً المقبلة إلى النصف.

سادساً: الحرية. رغم التراجعات في هذا البلد أو ذاك، فإنّ مؤشرات

(5) المناظرة قبل الأزمة الفنزويلية.

الديمقراطية في العالم في أعلى نقطة وصلتْ اليها. أكثر من 60 بالمئة من سكان العالم يعيشون الآن في مجتمعات منفتحة، وهذه أعلى نسبة في تأريخ البشر.

سابعاً: المعرفة. في عام 1820، حصل 17 بالمئة فقط من البشر على تعليم أساسي. اليوم النسبة هي 82 بالمئة وتتصاعد باضطراد باتجاه المئة بالمئة.

ثامناً: حقوق الإنسان. الحملات العالمية المستمرة استهدفتْ حالات عمالة الاطفال، عقوبة الإعدام، الاتّجارُ بالبشر، العنف ضد النساء، ختان الإناث، وتجريم الجنسية المثلية[6]. وكل من هذه الحملات حقق تقدماً ملموساً. وإذا اتخذنا التاريخَ مرشدا لنا فإن هذه العادات البربرية في طريقها إلى الإندثار كما اندثرت حالات التضحية بالبشر[7]، أكلُ لحوم البشر، وأدُ المواليد، امتلاك العبيد، حرق المهرطقين، اعدامات التعذيب، الشنق أمام العامة، عبودية الديون[8]، نزاعات المبارزة[9]، الحريم، الإخصاء، ربط الاقدام[10]، السخرية من المرضى عقلياً، و حمقى عنف الهوكي المـُعينين

---

(6) طبعاً هذه المعايير تختلف كثيراً بين المجتمعات المختلفة لا سيما في بعض النقاط. فنحن نعرف انّ بعض البلدان وصلت إلى حدّ السماح بزواج المثليين، بينما لا تزال هناك شرائح كثيرة، سواء في العالم المسيحي أو الاسلامي أو ثقافات ومجتمعات أخرى، تنظرُ إلى المثلية أصلاً كفعلٍ شائن.

(7) بمعنى التضحيةِ بالبشر في شعائر طقسية أو دينية وما شابه.

(8) أيْ عندما يتم استعباد شخص للعمل لسداد ديونه.

(9) في مراحل طويلة من التاريخ كانت الدعوة إلى المبارزة إلى حدّ الموت طريقة لحلّ النزاعات بين الأفراد.

(10) في عدد من المجتمعات لا سيما الآسيوية التقليدية، يتم وضع أقدامِ الفتاة في قالبٍ حديدي أو ما شابه لتظلّ اقدامها صغيرة الحجم مما يُعتبر عنصرا جمالياً.

لذلك[11].

تاسعاً: المساواة بين الجنسين. الإحصائيات العالمية تبين أنّ النساء يصبحن أحسنَ تعليماً، يتزوجن متأخراً، يكسبن المزيد، وفي مراكز قوة ونفوذ أكثر.

وأخيراً: الذكاء. في جميع البلدان ما تزال معدلات الذكاء ترتفع ثلاث نقاط في كل عقد من الزمان.

إذاً ما الذي يقوله القائلون بانحدار البشرية أمام هذه الأنباء الجيدة المثيرة للكآبة[12]؟ انهم يقولون: «فقط انتظروا. في أيّ يوم الآن يمكن لكارثة أنْ توقف هذا التقدم أو تعكس اتجاهه».

مع الاستثناء الممكن لموضوع الحرب، فإن أياً من هذه المؤشرات هو ليس عرضة لمفاجآت الفوضى والانهيارات كما يحدث في أسواق البورصة. فكلٌّ منها تدريجيّ وتراكميّ. وهي تعتمد على بعضها البعض كمجموعة. فبوسع عالَمٍ أغنى أنْ يتيح تنظيفا لبيئته، وضبط عصاباته، وتعليم وشفاء مواطنيه. فعالمٌ أحسن تعليماً وفيه تمكين أعلى للمرأة، سيتوفر على مستبدين أقل ويشن الأقلّ من الحروب الغبية. التقدمات التكنولوجية التي حثّت

---

(11) في لعبة هوكي الجليد يُعَيَّن أشخاص عنيفون للردّ على العنف في اللعبة، وهي أصلًا لعبة عنيفة. أكيدٌ ليس كل ما يهم مجتمع معين يهم كل مجتمع آخر. ولعل كلام المتحدث هنا يشير إلى مجالات أخرى يتم فيها تعيين اشخاص عنيفين لردّ العنف بالعنف.

(12) بمعنى ان هذه الأخبار الطيبة هي أمر مثير للكآبة لدى المتشائمين أو المشككين بتقدم البشرية.

هذا التقدم ستتسارع أكثر. وقانون مور[13] MOORE'S LAW يستمر، والجينومكس[14] GENOMICS، وعلم الأعصاب، والذكاء الإصطناعي، وعلم المواد، والسياسات المستندة إلى الدلائل والاثباتات، تتنامى بسرعة.

ماذا عن العوالم المظلمة للخيال العلمي؟ معظمها، مثل السايبورغات الهائجة أو ابتلاعنا من النانوبوتات[15] هي مجرد نسجٍ للخيال تماماً، وستمضي في الطريق الذي مضتْ فيه بعوضة Y2K وخيالات أخرى سخيفة عن الرعب التقني.

هناك تهديدان آخران جادّان ولكنهما قابلان للحل[16]. فرغم النبوءات عن الحرب العالمية الثالثة النووية الحرارية، والإرهاب النووي على الطريقة الهوليوودية، تذكَّروا انّه لم يتم استخدام سلاح نووي منذ ناغازاكي. الحرب الباردة انتهت. وستة عشر دولة تخلت عن برامج التسلح النووي، بما في ذلك، في هذا العام، إيران. لقد انخفضت الأسلحة النووية بنسبة أكثر من 80 بالمئة. واتفاق عام 2010 العالمي أغلقَ أماكن المواد النووية والانشطارية الرخوة غير المنظمة. والأكثر أهمية، انّ العالم قد يحتاج فقط للاستمرار لعقود قليلة في خطه المستمر منذ سبعين عاماً. فخارطة طريق لإزالة كل الأسلحة النووية على مراحل صُودقَ عليها من حيث المبدأ من قادة العالم الرئيسيين،

---

(13) وفحوى (قانون مور) هي ان عدد الترانزستورات في كل دائرة تكاملية ألكترونية كثيفة يتضاعف في كل عامين.
(14) فرع من البايولوجيا الجزيئية يهتم بدراسة بنية، وظيفة، تطور، وخرائط الجينومات (الجينومات هي مجموع الجينات الوراثية في خلية معينة أو كائن عضوي معين).
(15) تتمثل تقنيات النانو في صناعة روبوتات معينة بالاستناد إلى البايولوجيا الجزيئية.
(16) وهما موضوعا أسلحة الدمار الشامل والتغير المناخي، وسيرى القارئ في سياق المناقشة ما لهذين الموضوعين من أهمية ومخاطر شاملة كما ذكرنا في مقدمة الكتاب.

بما في ذلك قادة روسيا والولايات المتحدة[17].

النقطة الأخرى هي تغير المناخ. وهذه قد تكون أصعب مشاكل البشرية، ولكن خبراء الاقتصاد يتفقون أنّ بالوسع إصلاحها. فضريبةٌ عالمية على الكربون ستحثّ المليارات من البشر على المحافظة والإبتكار والتحوّل إلى مصادر الطاقة المنخفضة الكربون، بينما سيقلل البحثُ والتطوير المتسارع في مجال الطاقة المتجددة (R&D)، والجيل الرابع من الطاقة النووية وتقليص الكربون من كلفة الاجراءات.

هل سيتجاهل العالمُ بصورة انتحارية هذه الحلول؟ حسناً، ها هنا ثلاثةٌ من العناوين الرئيسية لمجلة (التايم) فقط من الشهر الأخير:

"الصين تبين انها تأخذ موضوعَ التغير المناخي على مَحمل الجد"، "وولمارت WALMART، مكدونالدز، و79 جهة أخرى تلتزم بمحاربة الاحترار العالمي"، "نكرانُ الأمريكان للتغير المناخي في أوطأ نقطة مسجَّلة"[18].

---

(17) من الوقائع التي حدثت بعد المناظرة انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع ايران، وتصاعد سباق التسلح مرة اخرى بين الولايات المتحدة وروسيا، لا سيما انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى، وردّ روسيا بتعليق العمل بالمعاهدة.

(18) بمعنى انّ عدد الامريكان الذين باتوا يعتقدون بالتغير المناخي وعواقبه في أعلى نقطة. رأينا الجدال القوي الذي دار حول الموضوع مع الأعاصير القوية والحرائق العديدة التي ضربت الولايات المتحدة، بما فيها أقوى اعصار في تأريخ فلوريدا الذي حدث عام 2018. جدير بالذكر أيضاً ان الولايات المتحدة انسحبت بعد زمن إجراء هذه المناظرة من اتفاقية باريس للمناخ، وذلك في عام 2017. انظر موقع بي بي سي http://www.bbc.com/arabic/business-40135119.

إن عالماً أَفضَل، بالتأكيد، ليس عالماً كاملاً. وكمُدافِعٍ جليٍّ عن فكرة الطبيعة البشرية، أعتقد بتعذُرِ صناعة شيء مستقيم فعلاً من خشب البشرية المعقوف[19]. وبالاقتباس بتصرفٍ من الكندية العظيمة جوني ميتشيل[20] JONI MITCHELLE: "لَسنا غبارَ نجوم، لَسنا من ذهب، وليس ثمة طريقةٌ للعودة إلى الحديقة".

في المستقبل العظيم الذي أتبصّره سيكون هناك مرض وفقر، سيكون هناك إرهاب واضطهاد، وحرب وجرائم عنيفة. ولكن سيكون هناك من كل هذا ما هو أقلّ، أقلّ بكثير. مما يعني انّ المليارات من البشر سيكونون في حالٍ أَفضَل مما هم عليه الآن. وهذا، أُذكّركُم، هو موضوع مناظرة هذا المساء. شكراً لكم.

رودْيارد غْرِفِنْس: ثانيتان فقط توفرتا. ستيفن بنكر، كانت هذه بدايةً رائعة للمناظرة. آلانْ، أنت التالي. كلمتك الافتتاحية رجاءً.

آلانْ دو بوتون: شكراً جزيلاً. إذا كان لنا أنْ نكون متفائلين، مثلَ صديقينا الواسعي الإطّلاع في الفريق المقابل، فإننا سنسعى حقاً لاختزال المواضيع التي سيتحدث عنها ستيفن ومات إلى أربعة. دعونا نركز على المناطق الأربع حيث يرى المتفائلون اننا سنحقق أعظم المكاسب.

أولاً، هم مؤمنون بانتصار المعرفة على الجهل. فالجهل كارثة كبيرة في عصرنا، وسيتمّ حلها من خلال نور العقل. هذا هو الأمل العظيم للمتفائلين.

(19) بمعنى تقويم كامل للطبيعة البشرية.
(20) كاتبة كلمات اغانٍ ومغنية كندية شهيرة.

وهم يعتقدون أيضاً انّ عِلَل الفقر التي صاحبتنا طويلاً جداً ستُزالُ من خلال الاقتصادات المتنامية في العالم. والنقطة الثالثة هي الحرب، فالحرب ستُمحى عبْرَ حُكم القانون والاحتكار المتنامي للقوة من دول تتبع التنظيمات العالمية. وأخيراً، يعتقدون انّ المرض سيُزالُ من خلال الأداة الرائعة المسمّاة الطب. ومع السيطرة على هذه المجالات الاربعة، الجهل والفقر والحرب والمرض، سنرتقي إلى أرضٍ عاليةٍ مُنارة بالشمس، والتي يريد أصدقاؤنا المتفائلون إخبارنا أنّها قادمة.

لديّ اعتراضٌ رئيسي واحد، وهو يتضمن شيئاً من السيرة الذاتية أيضاً. أنا سويسري، وقد أمضيتُ وقتاً كافياً في سويسرا. المسألة انّ سويسرا حلتْ كل هذه المشاكل. فلديها نظام تعليمي مدهش، ومعدل الراتب السنوي 50 الف دولار في السنة. والبلد في سلام منذ معاهدة (وستفاليا) عام 1648، والمستشفيات في أعلى مستوى. ومع ذلك، فإن سويسرا ليست جنة. في الواقع، هناك حشود من المشاكل. نعم، سأصِفُ هذه المشاكل بأنها مشاكل العالم الأول[21]، ولكنها ليست تافهة. إنها مواضيع حقيقية وأصيلة. سويسرا في الموضع الذي قد تكون فيه دولٌ مثل سوازيلاند وبوتسوانا وليبيريا بعد خمسة قرون. ولكن الأمر السلبي، أيها السيدات والسادة، هو انّ سويسرا ليست كاملة. ولهذا السبب يتوجب علينا أنْ نضع جانباً المزاعمَ المتفائلة بالتغيرات في أمسيتنا هذه.

لماذا سويسرا والبلدان المماثلة ليست كاملة؟ حسناً، أولاً، لأنّ الحماقةَ لا تُزال بواسطة العقل. كان الوعدُ العظيم للتنوير هو انّه إذا اخبرتَ الناس ما

(21) أي العالم الغربي المتقدم.

الشيء الصحيح الذي عليهم فعله فسيفعلونه، وانّ الشرّ ناجم عن الجهل. ولكنه ليس كذلك. الحماقة أكثر عناداً من هذا. والفقر لا يمكن استئصاله عبر الناتج الإجمالي المحلي. هناك مليونيرات ومليارديرات ممن يشعرون أنْ ليس لديهم ما يكفي. وهذا هو التعريف الحقيقي للفقر، الشعور بأن ليس لديك ما يكفي. ولسوء الحظ هذا الشعور يتنامى وموجود مهما كان مستوى الدخل. كما إنّ الحرب ليست هي كلَّ الموضوع في ما يخص النذالة والعنف والقسوة. فهذه الأشياء تستمر في المجتمعات حتى لو انّ الناس لا يضربون بعضهم بالهراوات حتى الموت. وأخيراً، حتى لو أنّ الجدري ومرض الدودة الغينية غير موجودين في سويسرا، فإن الناس ما يزالون يموتون، رغم التقدمات الرائعة في الطب. الموت لم يتمّ استئصاله. وحسبَ علمي – رغم انّ اصدقائنا في الفريق الآخر لديهم نظرة مختلفة – لا علاج لهذا يَلوح في الأفق.

هذه هي المشاكل التي نواجهها. وقد يقول قائل انّه بواسطة المكائن، والتكنولوجيا، والإنترنيت، والآيفون، ربما يمكن أنْ نجتمع معاً لتكوين كائنٍ حكيم بصورة كاملة، وعطوفٍ بصورة كاملة، وخالد. ربما قد نفعل، لكن هذا الشخص ليس إنساناً. الجنسُ البشري جنس مختلف.

لن نستطيع أبداً التطورَ خارج هذه العقبات التي وصفتُها لكم. أعتقد انه في أعلى النخاع الشوكي لدينا ما أحب أنْ أسمّيه "الجوزة الخطاءة"[22]. ذهنٌ خطّاءٌ فيه دوافع تدميرية جداً، وعَصيّ على أنواع معينة من التعليم، ويقاوم محاولات مساعدته في حالات عديدة.

(22) اشارة إلى ان الدماغ البشري وتلافيفه يشبه شكلَ الجوز.

أعتقد، أيها السيدات والسادة، انّ علينا الذهاب صوب نوعٍ مختلف من الفلسفة التي تنفعنا بشكل أَفضَل بكثير. وهذه الفلسفة هي ما أسميه "الواقعية التشاؤمية". انّها عكسُ الموقف الحماسي المفرط الذي تجدونه في العلم الحديث وأعمال التجارة الحديثة والذي يسعى، لمنظومات مختلفة من الأسباب، أنْ يجعلنا نشعر أكثر تفاؤلاً بحال الأمور.

هذا النوع من الحماسة التفاؤلية المفرطة خَطِرٌ وقاسٍ في آن. فكِّروا بتطبيقها في العلاقات. تخيلوا شخصا يقول: "أنا كامل وأصبحُ أكثر كمالاً، وأنا أبحث عن شخص كامل ويرغب في المزيد من الكمال". هذا هو ما سيمضي فيه نوع كارثي من علاقات كهذه. التسامح والرقة والتعاطف مستندة إلى القبول بنقصنا الأساسي. نحن كائناتٌ ذات عيوب وتحتاج إبقاءَ عيوبها في البال لكي نَكون بشراً حقاً. هناك فعلاً شيء مخيف، بصراحة، بخصوص نزعة الكمال.

نحن نغضب عندما نعتقد أننا وُعِدنا بالفردوس وما حصلنا عليه ازدحامٌ مروري، أو مفاتيحَ ضائعة، أو علاقة مخيبة للآمال، أو ما هو أقلّ من وظيفةٍ مثالية. نشعر بالغيظ، واحساسنا بحقنا في كل ذلك، يرتدّ علينا ويلدغنا. هذا هو خَطَرُ عصرنا. نحن نتوقف عن تقدير قيمة الأشياء عندما نعتقد انّ الحياة يجب أنْ تكون كاملة واننا نستطيع إزالة كل المشاكل المعروفة.

لماذا يحبُّ الكبارُ في السن الزهور؟ انهم يحبون الزهور لأنهم شديدو الوعي بنواقص الحياة لهذا يرغبون في التوقف عند بعض الجُزُرِ الصغيرة للكمال، كالزهور، وتقدير قيمتها عالياً. نحن لا نفعلُ هذا. إذا كانت في ذهننا

سرديةٌ كبرى[23] GRAND NARRATIVE عن كمالِ جنسنا البشري، فلن نتوقف لتثمين قيمة الزهور عالياً.

وأخيراً، أودّ الإشارة إلى أهمية المَرَح. المَرَحُ يُولدُ من الفجوة بين آمالنا وواقعنا. وأولئك الذين يعرفون كيف يضحكون، يعرفون أيضاً كيف يكونون متعاطفين مع آمالنا وأحلامنا المخذولة. ونحن جميعا لدينا من هذه الآمال والأحلام. أعتقد انّ العديد من أسوأ الحركات في التاريخ وُلدتْ من أذهان البشر المؤمنين بنزعة الكمال، من علماء، وسياسيين، وغيرهم ممن اعتقدوا انّ باستطاعتنا تقويم الأشياء، مرةً والى الأبد. وهذه فلسفة للحياة شديدة الخطورة. فالتقدم البشري الحقيقي يحدث غالباً جرّاء عمل ناسٍ أكثر تواضعاً بكثير، ممن يتقبلون نواقصهم ونواقص الآخرين، ولا يسعون لإقامة الفردوس على هذه الأرض.

المسيحية – وأنا اتحدث اليكم باعتباري يهودياً علمانياً – أصرتْ بحكمةٍ على اننا هشّون، قابلون للكسر، واننا جميعاً، مكسورون. هذا أساس مفيد جداً. إنها نقطة انطلاق كلاسيكية محافظة (وأنا هنا لا أتكلم بالمعنى السياسي) وهي كما أعتقد في جذر الحكمة. وأخيراً، فإن هذه المناظرة، رغم انها تبدو كمناظرة عن العلم – وهناك العديد من العلمويين[24] الحاضرين – فإنها في الواقع مُناظرة عن الحكمة وفلسفة الحكمة التي قد ترغبون في تبنيها في حياتكم. ففي أساس فلسفة ونظريات الفريق الآخر في المناظرة هناك فلسفةٌ

---

(23) هذا المصطلح شاع بوجه خاص مع استخدام المفكر الفرنسي جان ليوتار له في وصفه لما بعد الحداثة وتخطيها السرديات الكبرى، أي تخطّي التصورات الكبرى عن سياق مجريات التاريخ والأحداث في العالم.

(24) المؤمنون أكثر من اللازم بقوة العلم وقدرته على حلّ المشاكل.

شديدة الهشاشة، وربما غير متسامحة وقاسية. انها ليست فلسفةً للعيش. ففي جذر المَرَحِ، والإنسانية، واللطف، والغفران، هناك قبولٌ، رغم جوزاتنا الخطّاءة، بفهمٍ متكامل لانفسنا والعالم الذي نعيش فيه. علينا التبسّط مع أنفسنا وأنْ نكون شديدي التواضع. والتواضع، هو ما أريد بيعَه لكم. وعلى هذا الأساس أعتقد بقوة انّ عليكم رفض الحركة الجارية أمامكم. شكراً لكم.

رودْيارد غْرِفِثْس: مناظرةٌ مفعمة بالحيوية باتت تجري الآن. ماتْ رِدْلِي، أنت التالي من فريق المؤيدين.

ماتْ رِدْلِي: كم هو مؤسف اننا لا نستطيع إجراء تصويتٍ بين الكنديين، بين من يفضلون الصلعَ التام والشعرَ الأجعد[25]. وودي ألن WOODY ALLEN قال ذات مرة "أكثر من أيّ وقتٍ مضى في التاريخ، يواجه الجنسُ البشري مفترقات طرق. أحد الطرق يؤدي إلى القنوط واليأس الكلي، والآخر إلى الإنقراض التام. فلنصلِّ لامتلاك الحكمة للاختيار بحكمة". وهذه هي الطريقة التي كثيراً ما يتحدثُ بها الجميع عن المستقبل. عندما كنتُ شاباً كان المستقبل معتماً جداً. الانفجار السكانيّ كان متعذرَ الإيقاف، المجاعة كانت محتمةً، مبيدات الذباب كانت تسبب لنا السرطان، والصحارى كانت تتوسع، والنفط كان ينفد، غاباتُ المناطق المطيرة كانت محكومة بالموت، المطر الحامضي، انفلونزا الطيور، وثقب طبقة الاوزون، كانت تجعلنا نشعر بالتعاسة. عددُ الحيوانات المنوية لديَّ كان يتناقص، والشتاء النووي سيمحقنا جميعاً.

(25) إشارة ضمنية إلى الفارق بين السيء والأسوأ.

من المحتمل أنْ تظنوا اني أبالغ. حسناً، هذا ما خَلُصَ اليه واحد من الكتب الأحسن مبيعاً تأليف خبير الاقتصاد روبرت هَيلبرونر ROBERT HEILBRONER في السنة التي تركتُ فيها المدرسة: "النظرة العامة لوضع الإنسان، كما أعتقد، مؤلمة، صعبة، وربما يائسة. والأمل الذي يستطيع الاحتفاظ به لأجل امكاناته المستقبلية يبدو شحيحاً جداً في الواقع". وبعد عقد أو عقدين فقط من الزمان اتضح لي انّ كل واحدٍ من هذه التهديدات إما كان انذارا خاطئاً أو بُولغَ فيه بشكل كبير. المستقبل المرعب لم يكن بالسوء الذي قال لي البالغون انه سيكون عليه.

الحياة مضت في التحسن للاغلبية العظمى من البشر. معدّلُ عمر الإنسان ظل يتنامى بمعدل خمس ساعات كل يوم على مدى خمسين عاماً. والمقياس الأعظم للبؤس الذي يستطيع أيّ شخص التفكير فيه، أي موت الاطفال، انخفض بنسبة الثلثين في نفس الفترة الزمنية. وفياتُ الملاريا تناقصت بشكل مذهل بنسبة 60 بالمئة في خمسة عشر عاما. سكبُ البترول في المحيط تناقص بنسبة 90 بالمئة منذ سبعينيات القرن الماضي. وشيءٌ بحجم شريحة الخبز[26] يجعلك ترسل الرسائل، وتتحادث، وتشاهد الافلام السينمائية، وتجد طريقك في المنطقة التي أنت فيها، وتلتقط الصور، وتخبر المئات من البشر ما الذي تناولته على الإفطار.

أمّا ما صار أسوأ: المشاكل المرورية، ومشاكل البدانة الناجمة عن الوَفرة. وهنا تتوجب الإشارة إلى أمرٍ مضحك: أكثرُ التحسنات ذاتُ طابع تدريجي، ولهذا فانّها لا تظهر كأخبار بارزة. الأخبارُ السيئة تنزعُ للمجئ فجأة.

---

(26) إشارة إلى الشرائح الألكترونية في الهواتف المحمولة وما شابه.

فحوادث السيارات تبرز كأخبار. لكن تناقص هلاك الأطفال ليس كذلك. وكما قال ستيفن، كلّ سنة يصبح الشخص العادي على امتداد الكوكب أكثر ثروة، وصحة، أسعد، أكثر كفاءة، أنظف، أكثر عطفاً، أكثر حرية، أكثر أماناً، وأكثر سلاماً و...أكثر مساواة.

أكثر مساواة؟ نعم. اللامساواة على المستوى العالمي في طريقها للانخفاض وبسرعة. لماذا؟ لأن الناس في البلدان الفقيرة يغتنون بسرعة أكبر من البلدان الغنية. افريقيا تمر بتجربة مذهلة للمعجزة الاقتصادية هذه الأيام، تقريباً مثلما فعلتْ آسيا قبل عقد أو عقدين من الزمان. موزمبيق أغنى بنسبة 60 بالمئة للفرد مما كانت عليه في عام 2008. إقتصاد اثيوبيا يتنامى بنسبة 10 بالمئة في السنة. والاقتصاد العالمي لم ينكمش إلا في سنة واحدة فقط منذ الحرب العالمية الثانية. وكان ذلك في عام 2009، عندما هبط باقلّ من 1 بالمئة، ليرتفع بنسبة 5 في المئة في السنة التالية.

إذا كان هناك شيء مؤكد فهو تسارعُ مسارِ الازدهار. ولكن تفاؤلي بخصوص المستقبل لا يستند إلى استقراء الماضي، وانما إلى السبب الذي تحدثُ جرائه هذه التطورات. الإبتكار، المدفوع بتلاقي وتزاوج الأفكار لتكوين أفكار جديدة، هو الوقود الذي يحركه. وبعيداً عن نفاد الوقود، فاننا أصلاً قد بدأنا للتوّ. هناك ما لا يحصى من طُرق الجمعِ بين الأفكار وتكوين أفكار جديدة. وليس علينا بعد الآن الاعتماد على أميركا الشمالية أو الأوربيين لتكوين أفكار جديدة. الإنترنيت سرّع معدل اتصال الناس ببعضم لإنضاج أفكارهم.

خذوا السكائر الألكترونية على سبيل المثال. في بلدي هناك أكثر من

4 ملايين شخص أقلعوا عن التدخين تماماً بسبب السكائر الألكترونية. فهي تُثْبتُ نفسَها كأَفضَل عونٍ للإقلاع عن التدخين صنعته البشرية. فهي تقريباً أمينة بدرجة أمان القهوة. وقد تم اختراعها في الصين بواسطة شخص يدعى (هون لِك)، الذي جمع قليلاً من الكيمياء مع قليل من الألكترونيات. واليوم، الاختراعاتُ تحدث في كل مكان ونحن نستفيد منها.

ولكن ألا يأتي كل هذا التقدم على حساب البيئة؟ حسناً، لا. غالباً العكس هو الصحيح. العديد من المؤشرات البيئية تتحسن في بلدان عديدة: غاباتٌ أكثر، حياة برّية أكثر، هواءٌ أنقى، ماء أنظف. حتى معدّل انقراض الحيوانات يتناقص مقارنة بمئة عام مضت بالنسبة للمخلوقات التي نعرفها - الطيور والثدييات - بسبب جهود المحافظين على البيئة. وكلما اصبحت البلدان أغنى، يرتفع احتمالُ تحسّنِ بيئتها. أكبرُ المشاكل البيئية موجودة في البلدان الفقيرة.

ولكن ماذا عن أعداد السكان؟ معدّل النمو السكاني في العالم انخفض إلى النصف خلال زمن حياتي من 2 بالمئة إلى واحد بالمئة. ومعدلاتُ الولادة تهبط بشدة في افريقيا في زمننا. لقد تضاعف عددُ سكان العالم في القرن العشرين أربع مرات، ولكنه لن يتضاعف مرتين في القرن الحادي والعشرين. والأمم المتحدة تعتقد انّ النمو السكاني سيتوقف تماماً في عقد الثمانينات من القرن الحالي. ليس بسبب الحرب، والأوبئة، والمجاعة، كما خشي السوداويّ بارسون مالتوس PARSON MALTHUS قديماً، وانما بسبب الازدهار، والتعليم، والصحة. هناك حقيقة بسيطة وجميلة عن الديموغرافيا: عندما يظلّ اطفالٌ أكثر على قيد الحياة، فإن الناس يخططون لعائلات أصغر. ومع

نموٍّ سكانيّ متباطيء وتنامٍ أكبر في الحاصل الزراعي، يصبح إطعامُ العالم أسهل وأسهل.

اليوم، نحتاج إلى أرض أقلّ بنسبة 68 بالمئة لانتاج نفس المقدار من الطعام قبل خمسين عاما. وهذا يعني مزيداً من الأرض للطبيعة. نظرياً، نستطيع إطعام البشرية من حقلٍ هايدروبوني[27] HYDROPONIC بنفس مساحة مقاطعة أونتاريو ونحفظ بقيةَ الأرض للحياة البرية. كما انّ الكوكب يمسي أكثر خضرة في زمننا أيضاً. الأقمار الاصطناعية سجلت زيادة 14 بالمئة من النباتات الخضراء عما كانت الحالُ عليه قبل ثلاثين عاما، لا سيما في المناطق القاحلة مثل السهل SAHEL في افريقيا.

ولكن هل أنا مثل ذلك الشخص الساقطِ من ناطحة سحابٍ وعندما يمرّ على الطابق الثاني يصيح "لحد الآن كلّ شيء على ما يرام؟".

لا أعتقد. من المحتمل انكم ستسمعون عبارة "نقطة انعطاف" في هذه المناظرة. وسيتم إخباركم انّ هذا الجيل سيكون أسوأ من آبائه، وانهم سيموتون أصغر سناً أو يرون تدهوراً مفاجئاً في البيئة. حسناً، دعوني اخبركم شيئاً عن نقاط الانعطاف. كلّ جيلٍ يعتقد انه يقف عند نقطة انعطاف، وانّ الماضي حسنٌ والمستقبلَ معتم.

وكما قال اللورد مكّولي LORD MACAULAY عام 1830: "كلّ شخص في كل عصر يَعرفُ انه، وصولاً إلى عصره، كان يحدثُ تقدمٌ إلى

(27) طريقة لتنمية النباتات من دون استخدام التربة، باستخدام مُغذيات معدنية في محلولٍ مائي.

أمام. ولا أحدَ يبدو مُعوّلاً على أي تحسن في الجيل التالي. نحن لا نستطيع البرهنة بصورة مطلقة على خطأ هؤلاء، أي القائلين بوصول المجتمع إلى نقطة انعطاف، واننا رأَينا أَفضَلَ أيامنا. ولكن هذا ما قاله كلّ مَن جاؤا قبلنا ولنفس السبب الواضح".

نحن نُرشّح[28] الماضي لصالح الذكريات السعيدة ونرشّح المستقبل لصالح التنبؤات المظلمة. إنه نوعٌ غريب من النرجسية. وانّ علينا الاعتقاد بانّ جيلنا هو الجيل الاستثنائي، حيث تأتي نقطة الانعطاف. أخشى انّ هذا مجرد هراء.

وأنهي حديثي باقتباسٍ آخر من مكّولي الذي يقول: "على أساس أيّ مبدأ، عندما يكون ما خلفنا هو التحسنُ لا غير، الاعتقاد انّ ما أمامنا ليس سوى التدهور؟".

روديارد غرفتز: شكراً لك. مالكولم غلادويل، أنت التالي في فريق المتحفظين.

مالكولم غلادويل: بينما كنتُ استمع إلى المتحدثين المحترمين المؤيدين لموضوعة المناظرة، السيد بنكر والسيد رِدْلِي، شعرتُ انّ علينا ايجاد مصطلحٍ أكثر أناقة لتوصيفهما. واقترحُ ربما تسميتهما "آل بوليانا"[29] POLLYANNA. ولأنه لا توجد امرأة هنا على المنصة – وهو أمر غريب

(28) الترشيح بمعنى "الفلترة" FILTER.
(29) صيغة "آل فلان" تُستخدم في الإنكليزية للإشارة إلى العوائل. و"بوليانا" كناية عن الحماسة المفرطة التي لا أساسَ لها أو لا أساس كافٍ لها.

لأننا في عام 2015 - فكرتُ بإمكان الإشارة اليهما بالسيد والسيدة بوليانا. وساتركُ لخيالكم تحديد من هو السيد والسيدة بينهما. رغم شعوري انّ نظرة بسيطة إلى فروة رأسيهما ستعطيكما مؤشراً إلى الإتجاه الملائم لتحديد ذلك.

على أية حال، كنتُ استمع إلى السيد والسيدة بوليانا، وتساءل ذهني، كما تساءل الكثير منكم بالتأكيد. وأخذتُ بالتفكير بكل السيناريوهات المحتملة التي يمكن أنْ اتفق معهم فيها.

على سبيل المثال، لنفترض إضافة فقط ثلاث كلمات لأطروحة المناظرة لتمسي: "هل أَفضَلُ الأيامِ قادمة للسيدين بنكر ورِدْلِي؟". أعتقد أنّ هذا هو مربط الفرس تماماً. السيد رِدْلِي عضو في مجلس اللوردات، واحدة من اعظم الوظائف العاطلة في تأريخ العالم الغربي. والسيد بنكر واحدٌ من كادر جامعة هارفرد، التي يمكن وصفها بالنظير الأميركي لبيت اللوردات. فمن الصحيح تماماً انّ أَفضَل أيامهما قادمة. لا أحدَ سيجادلُ في ذلك.

أو لنفترض اننا نتناظر بخصوص: "هل أَفضَلُ أيامِ كندا قادمة؟". هذا سيكون صحيحاً دون ريب. فلديكم ارتقاء هائل في موقع القيادة. لكن، وللأسف، ليس جميعنا نعيش في كندا. أنا أعيشُ في الولايات المتحدة. وليس على المرء سوى مشاهدة خمس دقائق من مناظرات الجمهوريين الرئاسية ليعرفَ انّ الاطروحة[30] ليست صحيحة أبداً لمن يعيشون إلى الجنوب من الحدود[31].

---

(30) أيْ: هل أَفضَلُ أيام البشر قادمة؟
(31) أي سكان الولاياتَ المتحدة.

ولكن ربما، بصورة أكثر جدية، إذا كانت اطروحة المناظرة هي "هل أَفضَلُ أيامِ البشر أُدرِجتْ تأريخياً في المستقبل؟". أعتقد الجواب هو نعم بلا ريب. وهذا تماماً ما فعله الفريقُ المقابل. فقد برهنَا بجمالٍ على أننا لو نظرنا إلى الماضي وإلى القرن السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر، و1950، 1975، وتقدمنا بسرعة إلى أيامنا الحالية، فإنّ الأشياء في مسارٍ متصاعد. وبوسعنا جميعاً الموافقة على هذا.

لكن هذه المناظرة ليست عن الماضي، أليس كذلك؟ إنها عن المستقبل. إنها عن التساؤل ما إذا كانت الأشياء آخذة بالتحسن انطلاقاً من هذه النقطة التي نحن فيها وصعوداً. فكرةُ أنّ المستقبل سيكون أَفضَل فكرةٌ ساذجة بشكل لا شفاء له. وكلمة "أَفضَل" في غير موضعها الصحيح. ما نواجهه في الحقيقة عند النظر إلى المستقبل، مستقبلاً مختلفاً، ما الذي أعنيه بذلك؟

كنتُ مؤخراً في أحد المؤتمرات وكنتُ أدردش مع بعض الأشخاص من الأخصّائيين في مجال أمن الشبكة العنكبوتية. وسألوني "ما الذي تقلق بشأنه؟ ما الذي في بالك؟" وأجبتُ "لقد قمنا بعمل جيد جداً مؤخراً في التعامل مع التهديدات اليومية العادية كما في عالم القرصنة الألكترونية، مثل الشخص البلغاري الذي يريد سرقةَ بطاقتك الائتمانية. هناك الآلآف من هذه التهديدات. ونحن نقوم بعمل جيد لابقائها بعيداً". ولكن ما يخيفنا هو ما سمّوه الحادي عشر من سبتمبر الرقمي. شخصٌ ما، دولةٌ ما، تأتي وتخترق البنية التحتية الألكترونية لشمال اميركا، وتغلق مصادر الطاقة لمدة اسبوع. أو شخص يَخترق ويُقرنص في وقت واحد ألفَ سيارة على طريق 401 مسبباً ازدحاماً وحوادث تصادم كبيرة. وهذا، قد لا يكون مختلفاً جوهرياً عن حال

طريق 401 في وقتنا الحالي، ولكنه سيأتي كحدثٍ صادم.

سأعطيكم عدداً من الأمثلة الأخرى. قبل وقت قريب كنتُ أقرأ صفحةً في صحيفة (العلم السياسي) وكانت كلها عن تأثير استعمال الهواتف الخلوية في افريقيا. وأشارتْ إلى انّ إدخال الهواتف الخلوية إلى افريقيا كان له تأثير استثنائي على حياة الأفريقيين العاديين. فقد سمح لهم بالقيام بكل الأشياء التي لم يستطيعوها في الماضي لكن، وفي الوقت نفسه، إدخالُ الهواتف الخلوية جعلَ من الأفعال والعمليات العسكرية في التنسيق والتنفيذ من قبل الجماعات الإرهابية مثل داعش[32] ISIL وبوكو حرام أسهلَ بكثير مما كان في الماضي.

وهذه تماماً نفس الحالة بشأن قدرتنا في الربع أو النصف قرن الماضيين على التعامل مع ما يمكن تسميته أزمات المناخ العادية، التي تحسنت بشكل كبير جداً. أنا لا اخشى، ولا أكثر الناس يخشون المجاعة اليوم بنفس الطريقة التي كنا نخشاها قبل خمسة وعشرين عاماً. هذا النوع من الأزمات البيئة يتناقص دون شك جرّاء إنتاج محاصيلٍ مقاومةٍ للأمراض ومقاومة للجفاف وتقنيات تحلية المياه الأكثر فعاليةً بكثير. لكن خبراء المناخ لا يقلقون اليوم بخصوص هذه المواضيع.

انهم ينظرون إلى أعصار المكسيك الذي حدث مؤخرا، والذي كان واحداً من أكبر الأعاصير وأكثرها تدميراً مما تم تسجيله، ويقولون: "نحن

(32) تُستخدمُ أحياناً ISIL أو ISIS بالترادف، الأولى تشير إلى ما يُسمّى بالدولة الاسلامية في العراق وبلاد الشام، والثانية إلى ما يُسمّى بالدولة الاسلامية في العراق وسوريا.

قلقون من ارتفاع الحرارة في محيطات العالم واحتمالية مجيء واحد من هذه الأعاصير العملاقة مسبباً عصفاً لم نرَ له في الماضي مثيلاً أبداً". الماكنة القوية للنشاط البشري هي ما يسمح بمحاصيلَ مقاومةٍ للجفاف ومقاومة للحرارة، لكنها هي أيضاً ما يسببُ التغير المناخي، الذي هو مخاطَرةٌ من منظومة مختلفة تماماً.

والآن، ما الشيء المشترك بين كل هذه الأمثلة؟ إنّ ما تخبرنا به هذه الأمثلةُ هو اننا، كمجتمع، انخرطنا لا في تقليل المخاطر، وانما في تغيير نوعها. ليس عليكم القلق بشأن مجاعةٍ كل خمسة اعوام، ولكن عليكم القلق بشأن اعصارٍ هائل يأتي ويمحو مدينة ميامي. ليس عليكم القلق بخصوص شخص في رومانيا يسرق بطاقات ائتمانه، لكن عليكم القلق أنْ تخترقَ كوريا الشمالية، وتسبب تعطيل الطاقة لمدة اسبوعين. ووجود الهاتف الخلوي في افريقيا يعني انّ حياتكم أسهل كثيراً مما كانت عليه قبل خمسة أو عشرة أعوام، ولكنه يعني أيضاً انّ التهديد المُحدِقَ بكم من الجماعات الإرهابية أكبرُ حجماً واختراقاً مما كان عليه آنذاك.

إذاً ما الذي يعنيه كل هذا لصديقينا السيد والسيدة بوليانا؟ حسناً، انه يعني انّ كلّ ما أخبراكما به صحيح. كل ما قالاه صحيح. جلستُ هناك مستمعاً اليهما محركاً رأسي موافقاً وأنا اقول في نفسي، لم يكن لهما التحدث بطريقة أكثر صدقاً وواقعية وأمانة عن مسار كل هذه المؤشرات المختلفة. ولكن هذا فقط نصف القصة. وحسب اعتقادي، إنّ هذه المناظرة في حقيقتها هي عما إذا كان تغييرُ طبيعة المخاطر التي نواجهها هو ما ينبغي أنْ يخيفنا. وأعتقد الاجابةَ واضحة. وينبغي لها أنْ تكون كذلك.

روديارد غرِفِثس: كلمات افتتاحية ممتازة أيها السادة. الآن نُحرّك المناظرة إلى أمام. وما سنفعله هو أنْ يردّ كل فريق على ما سمعه من الفريق الآخر. وسنبدأ بالاستماع إلى فريق المؤيدين أولاً. سيد بنكر، سنضع ثلاثة دقائق على الساعة. دعنا نسمع ردّك على ما قاله آلانْ ومالكولم لحدّ الآن.

ستيفن بنكر: سأبدأ اجابتي مع آلانْ، وهي من شِقّين. قبل كل شيء أعتقد انّ آلانْ دو بوتون جاء إلى المناظرة الخطأ. لا أتذكرُ أبداً اني دُعيتُ إلى مناظرة موضوعها هو انّ البشر سيكونون خالدين في المستقبل، ولا انّ الحماقة ستتبخر من سطح الأرض، ولا اننا لن نفقد أبداً مرة أخرى مفاتيح سياراتنا. موضوع المناظرة ليس أنّ ثمة عالماً كاملاً في مستقبلنا، وانما بالأحرى انّ أَفضَلَ أيامِ البشر قادمة.

واجابتي الثانية له هي: هل أنت جاد أم تمزح؟ هل تقول انك تريد الاقتراب من فلاح في كولومبيا أو السودان أو بنغلاديش أو افغانستان وتقول: "إسمعْ، لقد كنتُ هناك. أنت قلقٌ على موت طفلك أو موت زوجتك خلال الولادة، أنت مليء بالطفيليات، ليس لديك ما يكفي لتأكله، لكن ثقْ بي، ليست مسألة كبيرة أنْ تعيش في بلد مثل سويسرا. صحيح انّ طفلك هناك قد لا يموت في السنة الأولى من عمره، ولكن عندما يصبحون مراهقين فانهم سينظرون اليك بضجر. وقد لا يكون عليك العيش في ظل الحرب والابادة الجماعية، لكن الناس سيُطْلقونَ أيضاً تعليقاتٍ مشاكسة. وقد لا تغدو جائعاً، لكن أحياناً ستشرب النبيذ وتجد طعمه غير ملائم". أعتقد انّ المليارات من البشر على الأرض سيجيبونك قائلين: "شكراً، لكني أعتقدُ اني أُفضّلُ أنْ اكتشفَ بنفسي أكثر من الاعتماد على كلامك بهذا الشأن".

أمّا بالنسبة لمالكولم غلادويل، صحيح انه في خيالك الباذخ تستطيع تخيلَ كل انواع الكوارث، فليس لدينا ضمان انّ بعض السيناريوهات التي تقدمها هوليوود لن تحدث أو انّ قرصاناً ألكترونياً ما في بلغاريا لن يوقف المنظومة الكهربائية. لكن من جهة أخرى، ثمة فرقٌ كبير بين الخيال المفرط وبين الاحتمالية. وهناك أيضاً فرق كبير بين المنغِّصات، مثل سرقة بطاقة ائتمانك أو بياناتك الشخصية، وبين الكارثة.

وإذا كان هناك خبراءٌ للأمن السيبراني العالمي من كل البلدان الصناعية الموجودة ضد مراهق من رومانيا، فسأراهنُ على الخبراء. وأخيراً، إذا كان صحيحاً انّ الهواتف الخلوية سببتْ من الأذى نفسَ قَدْرِ المشاكل التي ازالتها، فسترى انّ معدَّل الموت بسبب الأعمال الحربية...هل استطيع إكمالَ الجملة؟

روديارد غْرِفِثْس: حسناً، تستطيع العودة إلى هذه النقطة الأخيرة عندما نتحول إلى المناقشة المباشرة. فالدقائق الثلاث قد انتهت. ونحن نقود سفينة صارمة هنا. ماتْ، أنت التالي.

ماتْ رِدْلِي: حسناً، إنّ السيد والسيدة كاساندرا[33] قاموا بعمل جيد بتقديم الوجه الآخر من القصة. أسألكَ جدياً، مالكولم، هل علينا الاعتقاد

(33) هنا يرد ماتْ رِدلي التهكّم بالتهكم، مُطلقاً على الفريق الآخر هذه التسمية، كما لو أنهما متنبئين لا يصدقهما أحد. "كاساندرا" في الميثولوجيا الاغريقية هي بنت الملك بريام من طروادة. وقد اعجب بها الإله أبولو، واتفق معها على أنْ يمنحها مَلَكة التنبؤ مقابل أنْ تكون حبيبته. ولكن بعد نيلها مَلَكة التنبؤ أخلفتْ وعدها، فرأى الإله أبولو أنها خدعته. ولأنه لم يكن ممكنا استرجاع هديةٍ منحها، حكم عليها بلعنةٍ أنْ لا أحد سيصدقها رغم صواب نبوئاتها.

حقاً انّ زحاماً مرورياً ضخماً يسببه مراهق من بلغاريا هو كارثة؟ هناك مشاكل أكبر بكثير في العالم. وآل كاساندرا أخبراكما عن مشاكل البلدان الغنية في العالم المتقدم، ولكنهم نسوا إخبارَكم عن فقدان الإتجاه[34] لأن طفلاً من بلغاريا يقوم بقرصنة ألكترونية. هناك مليارٌ من البشر ليس لديهم كهرباء بعد. ونحن نعرف انّ الناس عندما يحصلون على الكهرباء فانها ستغيّر حياتهم. نعرفُ أيضاً انّ ما يمنع الناس من الحصول على الكهرباء هي الإرادة، والمصادر المتوفرة، وأشياء من هذا القبيل، إذاً لدينا كل الاسباب للاعتقاد بأننا نستطيع التعامل مع هذه المشاكل.

وكما كان يقول ستيفن للتوّ، إذا كان صحيحاً حقاً انّ الهواتف الخلوية تجعل الحرب أسوأ، لكُنّا رأينا ذلك في الإحصائيات. وهي تشير إلى العكس. فالهواتف الخلوية تعطي للشخص العادي في افريقيا الفرصة للقيام بأعمال مصرفية على الموبايل، والاعلان عن رقمه لأجل الحصول على وظيفة، والاتصال مع اصدقائه بشكلٍ أرخص نسبياً، وانها أتتْ بتحسنات رائعة في حياة الناس. البشرُ كانوا قادرين على تنظيم الحروب قبل الهوتف الخلوية وسيظلون قادرين على ذلك بعدها.

أما بالنسبة إلى آلانْ، أعتقد اني سمعتك تعرّف الفقر بأنّه مثلُ مليونير يعتقد أنْ ليس لديه ما يكفي. لا أعتقد انّ هذا فقراً. أعتقد انّ الفقر هو عندما يتعذّر على البشر حقاً الحصول على طعام أو البقاء على قيد الحياة. وهذا ما يهمّني. أنا لا أَنظرُ إلى الماضي، كما يقول مالكولم. ما قلتُه تحديداً هو أني لا

---

(34) بمعنى فقدان الاتجاه على الخرائط التي توضح للشخص مكانه والاتجاه الذي يريد الذهاب اليه في الشبكة العنكبوتية.

أؤسس تفاؤلي على هذه المقاربة. أنا أؤسس تفاؤلي على ما نعرفُ انه ممكنٌ لتحسين حياة الناس، الناس الذين فعلاً يحتاجون ذلك، وهم البشرُ في العالم النامي.

هذا العالم ليس كاملاً. بالتاكيد هو ليس كذلك. وهذا جوهرُ المقاربة المتفائلة. حدّدَ فولتير كلمةَ "المتفائل" بأنّه الشخص الذي اعتقدَ انّ العالم كاملٌ أصلاً. الآن هذه الكلمة تعني شيئاً مختلفاً. انها تعني انّ الشخص لا يعتقد بكمال العالَم، لكنه يرغب في تحسينه. وإذا كان هذا يعني اننا، عندما نذهب إلى سويسرا، سنفقدُ القدرة على تثمين الزهور عاليا وأن نفقد حس المرح، حسناً، ربما هذا ثمن يستحق أنْ يُدفَع.

روذْيارد غْرِفِثْس: أحسنتم. الآن سنحصل على الردّ من فريق المعارضين. آلانْ، أنت التالي.

آلانْ دو بوتون: آل بوليانا يحاولان جعلنا نشعر انّ مقاربتهم فيها مخاطرة قليلة نوعاً ما، وانّها حديثة جداً، حاذقة، ومثيرة للاهتمام. إنّها، في الواقع، الفلسفة الشائعة المفرطة الحماسة في الاتجاه الرئيسي في الصحافة، والرأسمالية، والعلم. إنّها الرسالة التي تسمعونها طوال الوقت. إنّها الآيفون الجديد، إنّها الأدوات التي ستجعل حياتنا أَفضَل. نحن محاطون بأصواتٍ مثل هذه التي لآل بوليانا، وليس ثمة ما هو جديد بصورة محددة أو مثير للاهتمام في ما يخبرونا به. نحن نسمع طوال الوقت أننا متوجهون إلى أرضٍ عاليةٍ مضاءةٍ بالشمس.

هناك القليل من الأصوات في صحفٍ مثل الغارديان والنيويورك تايمز

التي تقول انّ كل شيء مُحبِط، لكن هذه هي الأقلية من الأصوات. فالبوق الرئيسي مُعطى لمن يخبرونا انّ الحياة ماضيةٌ صوب الكمال.

هذا جزءٌ مما أقاتلُ ضدّه، لأني أعتقد أنها فلسفة لا إنسانية وخطرة جداً. في فجر الحضارة الغربية ابتكر الاغريقُ القدامى شكلاً للمسرح سُمّي التراجيديا. والفكرة من وراء التراجيديا هي تذكير دولة المدينة بهشاشتها الدائمة، وبالتالي، بالحاجة للتواضع الشديد أمام المجهول. وهذا ما يضايقني بعمق بخصوص السيد والسيدة بوليانا: جهلهُما. كلاهما شخصان جذابان، لكني أعتقد انّ موقفهما يستند على جهلٍ هشٍّ، وهو ما أراه في النهاية خطراً علينا جميعاً.

فلديهما نظرة ماديةٌ[35] متطرفة للكائنات البشرية، كما لو انّ كل انشغالهما هو الجانب المادي من الحياة. الآن، من السهل أنْ يُقال عني "هذا الشخص مهتمٌ فقط بمشاكل العالم الغني"، لكننا في كندا نعيش في عالم غني. هناك واحد وعشرون بلدا مصنفاً بلداً غنياً. وعلينا أنْ لا ننساها، لأنّ كل بقية العالم، أي الناس المهتمين بها، يحاولون أنْ يصبحوا أغنياء. وبالتالي فإنّ مشاكل العالم الغني هي المشاكل التي نحتاج النظر فيها. وهي تخبرنا قصةً معقدة جداً: حتى لو انّ آخر بعوضة ملاريا تم القضاء عليها، يظلّ الجنس البشري هشاً بصورة هائلة امام حشدٍ من التحديات.

السيد والسيد بوليانا يرفضان النظر إلى الدراما الحقيقية لما يعنيه أنْ تكون إنساناً وأنْ يأخذا هذه التحديات بنفس الجدية التي أخذها اسخيلوس،

(35) كلمة أو مصطلح "المادّية" في هذه المناظرة لا يأتي بالمعنى الفلسفي للكلمة، بل بمعنى الانهمام بالحاجات المادية للإنسان.

فلوبير، وتولستوي. هذا ما يضايقني في موقف العلم الحديث وفلسفته المفرطة الحماسة. لهذا احثُّكم على النظر بعنايةٍ أكبر إلى موضوع المناظرة. شكراً لكم.

مالكولم غلادويل: بينما كنتُ استمع، حاولتُ تكوين قائمة بالأقوال التي صعقتني باعتبارها غريبة فعلاً. ولهذا فكرتُ بالمرور عليها هي فقط، مُركزاً على ثلاثة من التي صعقتني أكثر. الأولى كانت ملاحظة السيد بنكر عن كيف كان مبتهجا جداً بحقيقة خفض الأسلحة النووية بنسبة 80 بالمئة. سامحوني للإشارة إلى هذه النقطة، لكن ذلك لا يحلّ المشكلة فعلياً. قد يمكن تقليص عدد الأسلحة النووية بنسبة 80 بالمئة، ولكن كل المطلوب هو سلاحٌ واحدٌ في يد شخص مجنون ليفجرنا جميعاً. فكروا بذلك كما لو انّ شخصاً يحمل مسدساً مصوباً إلى رأسك ويقول "لا تقلقْ، لقد خفضتُ عدد الرصاصات في المسدس بنسبة 50 بالمئة". لن أكون شديد الارتياح لذلك. ربما السيد بنكر سيكون مرتاحاً.

بنكريتي[36] المفضلة، إذا جاز لي نحتَ العبارة، كانت شيئاً قاله عن التغير المناخي، والتي مرّ عليها مروراً سريعاً جداً. فقد استبعدَ المشكلة قائلاً بعبارة أحبها فعلاً: "أخصّائيو الاقتصاد يتفقون على انّها مشكلة ممكنة الحلّ".

من أين يمكن أنْ أبدأ؟ قبل كل شيء: أخصّائيو الاقتصاد؟ في أيّ عالم مُتخيل يمكن تصور انّ أخصّائيي الاقتصاد هم المجموعة الأولى ممن نذهب اليهم لأجل حلول للمشاكل الأكثر تعقيداً في الحياة؟ هذا ليس موضوعاً

(36) تعبيرٌ لا يخلو من تهكّمٍ مُشتقٍ من إسم ستيفن بنكر.

يمكن حلّه بمنحنيات الطلب أو تحريك معدلات الفائدة أعلى أو أوطأ من نقطة معينة.

التغير المناخي يمدّ جذوره في عددٍ من المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الأكثر تعقيداً في عالمنا الحالي. انّه مرتبط بتغيير المؤسسات وبمواجهة المصالح المتمترسة والطريقة التي نتصرف بها. ويصعقني، كحالةٍ نموذجية لعالَم الخيال المُحوَّل إلى شكلٍ فكري الذي أعتقد انّ نظيرينا يعيشون فيه، انّهم ينظرون إلى موضوعٍ معقدٍ بشكل استثنائي، ويذهبون لنيل المساعدة من جامعة هارفرد أو، كما قد تكون عليه الحال، بيت اللوردات.

والهفوة المضحكة الأخيرة – وقد كان هناك الكثير منها في الواقع – من السيد رِدْلِي، وهي فكرته بإمكان إطعام العالم من حقل هايدروبوني بحجم منطقة أونتاريو.

لديّ فقط سؤالان له. أولاً، كم من الخيال العلمي تقرأ؟ وثانياً، كم من الطعام الهايدروبوني تناولت؟ هذه هي الصورة الكبيرة: من السهل فعلاً تخيل عالمٍ أكثر كمالاً، ولكن من الأصعب كثيراً وضعُ العديد من هذه الأفكار الطوبائية موضعَ التطبيق. وبخصوص هذا الموضوع، فانّهما قرآ من البروباغاندا أكثر من اللازم.

رودْيارد غْرِفِثْس: يا له من نصفٍ أول رائع للمناظرة. الآن سنمضي إلى مرحلة المناظرة المفتوحة المباشرة. لدي بين يديّ أنواع الاسئلة الباحثة والمتفحصة، ولكن لأن المناظرة تجري فسأحيلها اليك، ماتْ. هل يمكنك الردّ على ما سمعتَه للتوّ من مالكولم، لا سيما عن مسألة أخصّائيي الاقتصاد

وقدرتنا على استخدام العلم للتنبؤ بالمستقبل الذي تعتقد انّ بوسعنا وينبغي أنْ نقيمَ فيه؟

ماتْ رِدْلِي: فكرةُ أننا مادّيان تتطلب الردّ. من الجيد جداً القول انّ المادّية لا تُشبع كلَّ احتياجاتنا، لكن اعتقد اني أُفضلُ أنْ اكون حسن الطعام وتعيساً من أنْ اكون جائعاً وتعيساً. ولهذا فاشباعُ الحاجات المادية أمرٌ مهم.

أما بخصوص النقطة عن التغير المناخي وعلم المناخ: كل ما أسمعهُ منه نصائحَ باتجاه اليأس. لا أسمعهُ يقترح أشياء نستطيع فعلها بالتكنولوجيا النووية أو تكنولوجيات أخرى. هناك كل انواع التقدُّمات التي بوسعنا القيام بها. نحن نحاول جمعَ الارادة السياسية، نحاول تصويبَ الإتجاه الاقتصادي، نحاول تصويبَ التكنولوجيا. لم ننجح في إزالة الكربون من الاقتصاد العالمي، لكن أنْ نفكر بالاستحالة التامة للتصدي لهذه المشكلة في العقود القليلة المقبلة فأمرٌ غريب. أعني، قد لا ننجح، ولكن من المحتمل جداً أننا سننجح.

مالكولم غلادويل: إذا كان لي أنْ اختلف، سأشيرُ إلى انني لم أقلْ أبداً انها مستحيلة. ما قلتُه انها أصعب بكثير مما تريدنا أنْ نعتقد، بكل هذه السيناريوهات الخيالية عن التقدم اللامحدود. ولكن، أكثر من هذا، فإن تغير المناخ يشكّل تهديداً للتقدم من منظومة مختلفة عن المخاطر التي رأيناها في الماضي. وهذا يعود بنا إلى حديثي الافتتاحي--[37]

ماتْ رِدْلِي: هل الحالُ فعلاً كذلك؟

(37) العلامة (--) تشير إلى مقاطعة حديث المتكلم.

مالكولم غلادويل: دون شك.

ماتْ رِدْلِي: أعني، انّ البشرية واجهت بعض المخاطر الهائلة في الماضي بما في ذلك المجاعة والمرض، وقد انتصرنا عليها.

مالكولم غلادويل: أنت لا تستطيع أنْ تذكر لي مجاعةً واحدة لها من العواقب العالمية ما يفضي اليه تغير تسلسلي في مناخ الكرة الأرضية. سَمِّ لي مجاعة بدءاً من السنة صفر إلى 1750 كان بوسعها التأثير على البنية الأساسية لمحيطات العالم. لا تستطيع، اليس كذلك؟ أنت تستطيع الإشارة إلى شيء حدثَ في السهل الأستكتلندي، لكنك لا تستطيع--

ماتْ رِدْلِي: لا، لكنني استطيع تحديدَ مجاعة حدثت في فرنسا في تسعينيات القرن السابع عشر وقضت على 15 بالمئة من سكان البلد، لأنه لم تكن بحوزتنا التجارة التي تتيح ارسالَ الطعام إلى الناس كما في أيامنا هذه. ولكن في زمننا، وبسبب الزراعة المعولمة فإننا--

مالكولم غلادويل: نوع التهديد الناجم عن التغير المناخي الذي نتحدثُ عنه أعظم بكثير من 15 بالمئة من سكان فرنسا.

ماتْ رِدْلِي: أعتقد أنك لا تتفق مع الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيرات المناخ[38] أيضاً.

مالكولم غلادويل: أعتقد أنّ علي العيشَ مع هذه الحقيقة المـُهلِكة إلى

(38) ومختصر اسمها بالإنكليزية IPCC (Intrgovermental Panel on Climate Change).

آخر أيامي!

آلانْ دو بوتون: هذه المناوشات الكلامية يمكن أنْ تمسي عقيمةً بالأحرى إذا ظلّ أحد الطرفين يحمل رسماً بيانياً قائلاً انّ الأشياء تتحسن والفريق الآخر يقول "لا، يمكنها أنْ تصبح أسوأ". لعل علينا العودة خطوةً إلى الوراء لنسأل ما الذي يدفعُ هذا الفريق للرغبة في التأكيد بصرامة--

ماتْ رِدْلِي: البيانات، آلانْ، الوقائع.

آلانْ دو بوتون: صحيح. لكن البيانات لا تؤشر لك بصرامة إلى انّ الحياة ستكون كاملة. لذلك--

ستيفن بنكر: ليس هذا هو موضوع المناظرة.

ماتْ رِدْلِي: لا أحد قال بالكمال. من أين أتتْ فكرةُ الكمال هذه؟

ستيفن بنكر: ليس الكمال، تتذكر؟ أنت في المناظرة الخطأ.

آلانْ دو بوتون: سيد بنكر، هذه هي جملتك العظيمة للتهرُّب. كلما نشير إلى ثغرة في محاججتك، ستقول: "آه، أنا لم أعنِ ذلك. آه، بالطبع هذه ستظل مشكلة. وانّ ما يعنيني هو". ولهذا سوف نقول "ماذا عن استخدام الأسلحة النارية؟" وسوف تردّ "لا، لا، لا، أنا معنيٌّ كما تعرفون بفايروس دودة الكبد في جنوب افريقيا". وهكذا دائماً تُغيّرُ وتتراجع. وعليه، فعندما أذكرُ المعدل العالي للأمراض العقلية ستقول "آه لا. لستُ مهتماً بالأمراض العقلية. أنا مهتم بالفقر المدقع". وعندما أردّ عليك "حسناً، ماذا عن الفقر النسبي الذي أشار اليه الاقتصادي الشهير ريتشارد إيسترلن RICHARD

EASTERLIN في سبعينيات القرن الماضي؟" سوف ترد "لا لا. لستُ مهتماً بالفقر النسبي. أنا فقط مهتم بالفقر المدقع". أنت تستمر بازاحة أرضية الموضوع، وبالتالي تجعلُ موقفكَ هشَّ الأساس قليلاً. لأنه كلما نقول "لا، هناك أساس قوي للقلق بشأن موضوع تقدم البشرية" ستردُّ، "آه، ليس ذلك الجانب من التقدم الذي أهتم به". ولهذا فعلينا أنْ نحدّدَ ونتمسك بـ--

روديارد غْرِفِثْس: دعونا نُدخلُ ستيفن هنا ونسمع جوابه بخصوص هذه التهمة. ستيفن، هل كنتَ انتقائياً SELECTIVE بخصوص الوقائع؟

ستيفن بنكر: هذا خاطئ تماماً. لقد ذكرتُ عشرة أبعادٍ عن حال البشر. كلها تحسنتْ.

آلانْ دو بوتون: بالطبع، وأنا استطيع ذكرَ ثلاثين بُعداً آخر، ولكن المسألة انّ هناك--

ستيفن بنكر: لا، لا تستطيع ذكرَ ثلاثين بُعداً آخر.

آلانْ دو بوتون: كم من العوامل هناك في الحياة البشرية، ثمة ما هو أكثر بكثير من عشرة؟

روديارد غْرِفِثْس: آلانْ، دَعنا نُدخل ستيفن في النقاش هنا.

ستيفن بنكر: ما هي الثلاثون عاملاً الاضافية أكثر من الحياة، الصحة، التعليم، الوفرة، السلام، الأمان، الذكاء، وتمكين المرأة.

آلانْ دو بوتون: ألا تعرف الروايةَ الشهيرة المكتوبة في القرن التاسع

عشر المسمّاة آنّا كارنينا؟ لا أحد من الشخصيات في آنّا كارنينا عانى من هذه العشرة. هل كانت قصة سعيدة؟ لا. وهذا ما يخبرنا شيئاً جوهرياً، يا سيد بنكر، عن ضيق--

ماتْ رِدْلِي: هل زَعَمنا أننا سنزيل اللاسعادة؟

آلانْ دو بوتون: ماتْ رِدْلِي، هذا تراجعٌ تكتيكي آخر تستمر باستخدامه.

ماتْ رِدْلِي: لا، إنه ليس كذلك. السعادة تتحسن ولكنها ليست كاملة--

آلانْ دو بوتون: عندما نحدد منطقةً لا تكون فيها حججك قويةً تجيب: "نحن لسنا مهتمين بهذه النقطة. نحن فقط نهتم بدودة الكبد". لماذا إذن لا تقولون ما أنتم مهتمون ومعنيون به، وتتمسكون به، وتدافعون عنه؟

ماتْ رِدْلِي: آلانْ، هل ألقيتَ نظرة على البيانات بخصوص السعادة؟ السعادة تتلازم مع الثروة بين البلدان، والثروة داخل البلدان، وضمن مدى عمر الإنسان. من الصحيح تماماً انّ الشخص يمكن أنْ يكون ثرياً جداً وتعيساً جداً.

ستيفن بنكر: قبل كل شيء، مفارقة إيسترلن EASTERILN PARADOX تم حلُّها. أعتقدُ انك متأخرٌ عقداً من الزمان عن مجريات الأمور. الفكرة بأن الثروة لا ترتبط بالسعادة، والتي هي مقدمة مفارقة إيسترلن، خاطئة. آنغَس ديتِن ANGUS DEATON نال جائزة نوبل قبل اسبوعين من الزمان لبرهانه على ذلك. وكما قال ماتْ، إنها مغالطة.

آلانْ دو بوتون: حسناً. لكن هناك بعض الناس في هذه القاعة غير

سعداء بخصوص عدة أمور رغم انهم لا يقفون على طوابير الخبز. وأنت ستقول: "حسناً، أنا آسف، لكن بياناتي تقول انّ سعادتكم لا ترتبط بمقدار دَخْلكم. وبالتالي فتعاستكم ليست حقيقية لأنّ البيانات لا تشير لذلك".

ستيفن بنكر: ماذا؟

آلانْ دو بوتون: بتعبير آخر، بياناتكم تترك الكثير من الفجوات--

ستيفن بنكر: ما الذي تتحدث عنه؟ كيف يمكن للبيانات تبيان انّ السعادة غير حقيقية؟

رودْيارد غْرِفِثْس: حسناً. دعونا نتوقف هنا للحظة. أريدُ إدخال مالكولم في المناقشة.

مالكولم غلادويل: كنتُ على وشك دعمِ آلانْ، فهو يطرحُ نقطةً صائبة جداً بخصوص انزلاقية مواقف السيد بنكر. أريد التوقف عند واحدة من الهفوات الطريفة التي لم يُتَح لي الوقت للمرور عليها في ردودي، وهي المتعلقة بهذه النقطة تحديداً. عندما كان يتكلم عن كيف أننا كبشر أقل اقترافاً لجرائم القتل اليوم عما كنا عليه في الماضي، فانه يشير إلى انّ البلدان المتقدمة الرئيسية لم تخض حرباً منذ ستين عاماً. أعتقد من المنصف القول انها عندما خاضت تلك الحرب قبل ستين عاماً فإنها كانت مدمرة تماماً، ولهذا فالفجوة الزمنية الأكبر بين الحروب تقدم القليلَ من العزاء ما دامت الحروب نفسها أمست شراسةً مرعبةً. وإذا كانت الحروب نفسها تتضمن إمكان انقراض الكوكب، تغدو هذه نقطة في منتهى الأهمية. لهذا، فالتركيز على واقعة انه مرّ ستين عاماً – واو! يا للعجب! – منذ انخراط انكلترا في حرب رئيسية، لا

يخبرنا الكثير، أليس كذلك؟ علينا النظر بكثب إلى طبيعة الصراع، وهذا هو السبب لعودتي إلى النقطة التي أردتُ توضيحها في بداية المناظرة، عندما قلتُ انّ تغيراً حدث في طبيعة التهديدات والمخاطر. الحروب أمستْ أقلّ انتشاراً ولكن أكثر كارثية.

رودْيارد غْرِفِثْس: ماتْ، أريد السماع منك، لأن هذا جزءٌ كبير من هذه المناظرة. هل التعقيدُ الأكبر يعني مزيداً من الهشاشة؟ هل نقومُ برفدِ المنظومة بأشياء تولد هذه النتائج المثمرة الآن لكن يمكنها بسهولة أيضاً الإنعكاس لتولد الفواجع؟

ماتْ رِدْلِي: دعني أقدم لك مثالا لماذا الأمر مختلف عما يقول الفريق الآخر، وساستخدم مثالَ المجاعة مرة أخرى. في أيامنا، وبسبب التجارة العالمية، من المستحيل تماماً تقريباً حدوثُ مجاعة عالمية رئيسية. يمكن حدوث ذلك إذا كانت هناك عدة حالات قحط متزامنة في مناطق مختلفة من العالم. لن ترَ الكثير من البشر يموتون في منطقة واحدة بسبب المجاعة لأن التجارة تسمح لنا بترجمة النقص المحدد في الغذاء إلى زيادة في الاسعار على النطاق العالمي. وهكذا قللتِ التجارةُ المخاطرَ عبر ربطنا جميعاً بعضاً ببعض. بعض الناس يقولون اننا جعلنا العالم أكثرَ خَطراً بسبب ربط الجميع ببعضهم بعضاً. هذا قد يكون صحيحاً في بعض الحالات لكن ليس كلها. في الكثير من الأمثلة، تمكنّا من نشر المجازفة لأجل تقليلها.

رودْيارد غْرِفِثْس: هل يريد أحدٌ الإضافة إلى هذه النقطة؟

مالكولم غلادويل: أعتقد أني سلّمتُ بموضوع المجاعة بشكل جليّ.

سيكون من الأكثر اثارة للاهتمام إذا حاولتَ فعلاً مواجهة بعض الحالات التي لم أتفق بها معك، مما في الحالات التي اتفقتَ فيها معي. هذا سيكون أكثر فعالية كأداة في المناظرة.

روذْيارد غْرِفِثْس: ستيفن، هل ترغب في الردّ؟

ستيفن بنكر: مالكولم، أتفقُ بالتاكيد انّ أخصّائيي الاقتصاد هدفٌ سهل للاستهداف، ومن السهل دائماً إطلاق ضحكة السخرية منهم. لكن مشكلة التغير المناخي هي مشكلة اقتصادية. كل التقديرات المستقبلية لسيناريوهات الحالات الأسوء تعتمد على حسابات الاقتصاديين، وتحديداً، كم من البشر سيَحرقونَ كم من وحدات الوقود المتحجِّر[39]؟

مالكولم غلادويل: إنها مشكلة يتم تحديدها بفعالية بواسطة أخصّائيي الاقتصاد. لكن هذا لا يجعل منها مشكلة اقتصادية.

ستيفن بنكر: انها دون شك اقتصادية، فكلُّ ما تعتمدُ عليه هو كمْ عدد البشر ممن سيحرقون كميةً معينة من الكربون، كمْ من الوقود المتحجِّر--

مالكولم غلادويل: هذا يشبه القول إذا رسم فنانٌ صورةً لتفاحات، عندها تصبح التفاحاتُ مشكلةَ الفنان. التفاحة ليست مشكلة الفنان. التفاحة فاكهة. إنها تقع خارج عالم الفنانين.

ستيفن بنكر: كلٌّ من تحليلات التغير المناخي والحلول الممكنة مسائل

(39) مثل الفحم والغاز والنفط مما تكوّنَ في الماضي الجيولوجي من بقايا الكائنات العضوية الحية ويعود تشكله إلى مئات الملايين من السنين، وهو يحتوي على نسبة عالية من الكربون.

اقتصادية. نَعرفُ إمكان استخدام الألواح الشمسية، لكن السؤال هو هل سيكون هناك منها ما يقلل استعمال الوقود المتحجّر؟ نَعرفُ انّ بوسع الطاقة النووية التقليل من انبعاثات الكربون، لكن بأيّة كلفة؟ نَعرفُ انّ بوسع الناس التقليل بشكل جيد من استهلاكهم، للتخفيف من هذه المشكلة، ولكن هل سيفعلون؟ تحت أيّ نوع من الحوافز؟ لذلك فهي تماماً مشاكل اقتصادية.

مالكولم غلادويل: قد يمكنني القول، انّ هذا يفضي تحديداً إلى نقطة--

ستيفن بنكر: وعملُ وليم نوردهاوس WILLIAM NORDHAUS المعنون (كازينو المناخ) هو أكثر التحليلات عمقاً وشمولية للكيمياء، التأريخ، الإقتصاد، وتكنولوجيا التغير المناخي. وهو أخصّائي بالاقتصاد، وليس من هارفرد على أية حال، فهو من جامعة ييل[40].

مالكولم غلادويل: حسناً، أعتقد انّ ما قلتَه يُلخصُ تماماً ما أردنا أنا وآلانْ المحاججة به، وهو انّ هناك شيئاً ما ضيّقٌ جداً وثمين تقريباً في الطريقة التي اخترتما النظر بها إلى العالم.

ماتْ رِدْلِي: "ضيّقٌ وثمين"، أنت جيد جداً في اطلاق الصفات، مالكولم. ولكن هل يمكنك اعطاءنا بعضَ الوقائع؟

مالكولم غلادويل: لنستخدم مثال التغير المناخي: فقط لمجرّد انّ

(40) ردٌّ ضمنيّ على إشارة سابقة من الفريق الآخر تتعلق بأنّ ستيفن بنكر من جامعة هارفرد. عن موضوع مهم يتعلق بانفصال الأكاديمية عن الواقع بوجه عام والنقد المعاصر لهذا الموضوع، يمكن النظر في: نصير فليح، ألان باديو (سلسلة ما بعد دَرِيدا: فلاسفة وفلسفات معاصرة من القرن الحادي والعشرين)، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2019.

أخصّائيي الاقتصاد يوصفّون حالته بفعالية لا يجعل منه مشكلة اقتصادية. إنها مشكلة، ولكن مواجهة التغير المناخي بنجاح تتطلب تعاوناً ناجحاً بين قطاعات مختلفة عديدة من المجتمع على مستويات مختلفة عديدة. وتبسيطُ الموضوع والقولُ انّه شيء نستطيع اختزاله إلى مسألة تحليل اقتصادي حماقة.

ستيفن بنكر: مالكولم، ليست حماقة. هذا ما يفعله أخصّائيو الاقتصاد، دراسة التفاعلات المعقدة بين المجتمعات--

مالكولم غلادويل: أنت على حق تماماً، وهذه هي النقطة. ولهذا السبب--

روديارد غْرِفِثْس: هذه ليست مناظرة عن أخصّائيي الاقتصاد، ولهذا سأسألُ آلانْ إعادتنا للتركيز على موضوع المناظرة.

آلانْ دو بوتون: أنتما تقاربان هذه المناظرة من خلفية علمية وأنا قادمٌ من أرضية المباحث الانسانية HUMANITIES. ولهذا، بالنسبة لي، تأريخُ الفنون والآداب هو التوصيف الحقيقي للصيغ المختلفة للبؤس البشري، المآزق المتنوعة التي مرّ بها البشر على امتداد القرون. وهذا ما يُقدّم تأريخُ الأدب والمسرح والشعر توصيفَه الحقّ. أرغبُ بسؤال صديقيّ المتعلمَين، كيف يمكن لمختبراتهما التعامل مع بعض المشاكل الأساسية التي حاول الأدبُ تناولها. ما الذي ستفعلانه إذا دخلَ هاملت إلى مختبركما؟ كيف ستنظران إلى بعض المآزق التي أثارها يوربيدس EURIPIDES؟ أو تخمين مستويات التعاسة البشرية التي قدّمها كافكا؟ هل ستطبقان صيغاً معينة من التداخل الطبي؟ كيف ستتصديان لهذه المشاكل؟

ماتْ رِدْلِي: آلانْ، هل تعتقد انّ العلماء ليسوا كائنات بشرية؟

آلانْ دو بوتون: أنت تجعل من هذا الاعتقاد تحت الاختبار هنا.

ماتْ رِدْلِي: إذا جَرحتَنا أفلنْ ننزف؟

آلانْ دو بوتون: لا. حسناً... سنحاول ذلك لاحقاً! لكن، ماتْ، أنت لا توجه حديثك نحو هذه المشاكل. أنا فعلاً تواق لاكتشاف أية أجوبة يمكن للعلم امتلاكها عن الجوانب الجدية جداً من التعاسة البشرية التي تعقبتْ الكائنات البشرية على امتداد التاريخ.

رودْيارد غْرِفِثْس: المسألة تتعلق هنا بالتقدم الخارجي مقابل التقدم الداخلي، والمدى الذي نملك فيه شعوراً أو نظرية بأنّ التقدم لا يؤثر فقط في الأشياء التي يخلقها البشر وانما في البشر انفسهم.

ماتْ رِدْلِي: هل أعتقدُ اننا سنعالج التعاسة بحبّة دواء في السنوات القليلة القادمة، بحيث انّ أبطال آلانْ الأدبيين يمكنهم الشعور بتعاسة أقلّ؟ لا، أنا لا أقول ذلك. لكني أعتقد فعلاً انّ تقدم العلم، بما في ذلك اكتشاف الزمان الجيولوجي العميق[41]، والاتساع الشاسع للفضاء، والجينوم المرتبط بما يجري داخل خلايانا، قد وسّع الخيال البشري وقدّم الينا أشياء أكثر اثارةً للتفكير بها، والتي ستؤثر على خلق الأعمال الأدبية والمسرحيات وأشياء من هذا النوع.

آلانْ دو بوتون: إذا وقفتْ آنّا كارنينا على حافة المنصّة فأنتما تقولان

---

(41) زمانُ عُمرِ الأرض وطبقاتها السحيقة.

«توقفي، فالزمان الجيولوجي العميق هو الإجابة لأجلك عزيزتي» هل هذا هو جوابكما، ايها السيد والسيدة بوليانا؟

ماتْ رِدْلِي: ولم لا؟ لنحاول ذلك. لم لا نسألها؟

آلانْ دو بوتون: الزمان الجيولوجي العميق، مدهش! قُلْ ذلك لهاملت أيضاً.

ستيفن بنكر: لأجل تذكيرك فقط، آنّا كارنينا لم تُوجد في الواقع. ولا هاملت أيضاً. نحن نتحدثُ عن المليارات من البشر الذين لن يروا أطفالهم يموتون في السنة الأولى من الحياة، نحن لا--

آلانْ دو بوتون: انزياح كلاسيكي آخر عن موضع الهدف.

رودْيارد غْرِفِثْس: سأدعُ ستيفن ينهي كلامه هنا.

آلانْ دو بوتون: أفهمُ ذلك. لكن، ستيفن، رجاء توجه بحديثك نحو المسالة التي نتناولها، وهي مآزق النفس البشرية. ماتْ اقترحَ انّ الزمان الجيولوجي العميق سيكون جواباً مناسباً.

ستيفن بنكر: إذا ماتَ طفلك في السنة الأولى من حياته، فهذا مرتبطٌ بعمق بالنفس وشديد الصلة بموضوع السعادة. أعتقد انّ المليارات من البشر الذين لا يرون اطفالهم يموتون، أكثر صلةً بكثير بالنفس البشرية – بأعماق الوجود البشري – من آنّا كارنينا.

آلانْ دو بوتون: فقط أودّ الإشارة انك تقوم بحركة كلاسيكية: أنت

تقول، جوهرياً، انّ المشاكل المطروحة في الأدب ليست مشاكل حقيقية. أنت مثل شخصية السيدة (جِلبي)[42] JELLBY لدى ديكنز، فالمواضيع الحقيقية الوحيدة هي الفقر الشديد.

ماتْ رِدْلِي: اعتقدتُ أننا هنا للحديث عن التقدم وليس عن النظرية الأدبية؟ أنا آسف. أعتقدُ أنني في المناظرة الخطأ.

آلانْ دو بوتون: إذاً، بعبارة أخرى، الفقرُ المدقع هو المشكلة الحقيقية الوحيدة على الأرض. كلما أحاولُ ازاحةَ المحادثة إلى جهة المواضيع--

ماتْ رِدْلِي: لا. هذه هي فعلاً المشكلة التي نحن هنا للحديث عنها. سندخلُ مناظرةً عن النظرية الأدبية بعد ذلك.

آلانْ دو بوتون: لم أسمعْ أيّ شيء في عنوان المناظرة يحددها بمناقشة العلم والتقدم المادي. أعرفُ انّك عالِم. لكننا، باعتبارنا بشراً، فإننا مادة وروح، ويتعين علينا في هذه المناظرة مناقشتهما معاً.

روديارد غْرِفِتْس: أيها السادة، سأنهي هذا الشطرَ من المناظرة لأننا نواجه مشكلةَ الوقت وهناك بعض المواضيع القليلة الأخرى التي أريد تناولها في هذا الجزء من المناظرة.

مالكولم غلادويل: هل لي بمداخلة اعتراضية سريعة جداً؟ إنّ موقف نظيرينا المحترمين يذكّرني بالتعبير اليدي YIDDISH العظيم الذي يقول: "بالنسبة إلى دودةٍ في الفجل HORSERADISH، فإنّ العالَم هو الفجل".

(42) شخصية أدبية في رواية تشارلز ديكنز (البيت الموحش).

ماتْ رِدْلِي: أنا مجردُ دودة في الفجل.

رودْيارد غْرِفِثْس: ماتْ، أريدك أنْ تخبرنا قليلاً عن فكرتك بشأن أسباب تسارع التقدم، لأن هذا جزءٌ من النقاش هنا: أي أنّ أَفضَلَ أيامِ البشر قادمة، ليس فقط لأن الأشياء تتحسن، وإنما بسبب الإيقاع الذي تغدو فيه أَفضَل. ما هي النظرية التي تؤيد هذا التسارع؟

ماتْ رِدْلِي: أنا لا أراهنُ بمحاجتي على انها بالتحديد تتسارع، لكني أعتقد انّ هناك كل الامكانيات لذلك. فهناك أناسٌ أكثر متصلون ببعضهم في زمننا وهناك متسع أكبر للقيام بمختلف الابتكارات الجديدة في بلدان غير اميركا الشمالية وأوربا الغربية، ولهذا ففرصُ الابتكارات الجديدة لإنقاذ الحياة، التي تاتي من كل مكان في العالم، قد تحسنت. على سبيل المثال، قرأتُ هذا الصباح موضوعاً في الصحف البريطانية عن شفاء مرض السرطان لطفل بواسطة العلاج الجيني، وهي الحالة الأولى في لندن. أتخيل هناك شيئا مماثلا ربما يحدث في اليابان، وبعض البلدان الأخرى، لذا، فعلى امتداد العالم نحن نبادر إلى أفكار جديدة. لكن من الصحيح تماماً انّ التحسنات لا تسير بنفس المعدلات. إذا نظرنا إلى خمسين عاما للوراء، فكلّ شخص كان يعتقد اننا مقبلون على تحسنات مدهشة في مجال النقل، ولم يحدث هذا. رغم ذلك، لم يتوقعوا أننا مقبلون على تحسنات مذهلة في مجال الاتصالات. وهكذا تسارعت الاتصالات أسرع بكثير مما توقعنا، لكن النقل مضى أبطأ كثيرا. أعتقد اننا على شفا ثورة بايوطبية[43] BIOMEDICAL ستكون استثنائيةً تماماً. في الحقيقة، نحن لسنا على شفا ذلك، وإنما نحن بالفعل في ذلك. فأكثر

(43) مجال بحثيّ يجمع البايولوجيا والطب.

الأشياء إذهالاً تحدث في مجال البايوتكنولوجيا BIOTECHNOLOGY وفي معالجة الأمراض، وهي فعلاً إيجابية جداً للبشر.

روديارد غرِفِش: مالكولم، أريدُ سماعَ ردّك على ذلك، لأني أعتقد انّ الكثير من الناس يشعرون في حياتهم بشعور التسارع، سواء أكان تكنولوجياً أم ابتكارياً. لماذا، في رأيك، لا يمثل هذا انزياحا جذريا يدعم أطروحة المناظرة[44]؟

مالكولم غلادويل: حسناً، أحد الأسباب هو انّ نفْسَ الأشياء تحديدا التي يُمكنُ أنْ تُحدث انزياحاً دراماياً في مجالات معينة من التغيرات تستطيع أيضاً إحداث زيادة موازية في المخاطر. وهكذا، فعندما يتحدث ماتْ رِدْلي عن الترابط العالمي المتزايد وكيف يفضي إلى كل انواع النتائج الايجابية، أعتقد انه أيضاً يؤدي إلى كل أنواع النتائج السلبية. تحدثْ إلى علماء الأوبئة، سيوصّفون لك تهديد انقراض الأجناس، مشيرين إلى الجنس البشري. سببُ حديثنا الآن عن احتمال انقراض الجنس البشري هو بالضبط انّ البشر باتوا مترابطين جداً، مما يتيح لكائنٍ عضوي أو فايروس معين أنْ ينتشر على امتداد الكوكب بسرعة كبيرة جداً جداً. علماءُ الأوبئة سيخبرونك اننا أمسينا قريبين بشكل مخيف لشيء من هذا القبيل في عدة حالات حديثة جداً بسبب هذه الواقع. أريد الإشارة أيضاً إلى ملاحظة ماتْ ردلي عن الانفجار البايوطبي. فهو مُحقّ تماماً بأن هناك تغيرات إيجابية استثنائية لا تُصدَّق في تكنولوجيا الطب قد حدثت، وفي قدرتنا على مواجهة امراض معينة. لكن علينا أنْ لا نفقد الرؤية لحقيقة انه، عندَ خلقِ هذه الانواع من المقاربات التقنية الجديدة،

---

(44) أيْ يدعمُ أنّ أَفضَلَ أيامِ البشر قادمة.

فإنّ سلسلة كاملة من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية تُخلق أيضاً. على سبيل المثال، كيف يمكن دفعُ ثمنِ ذلك؟ لا ريب انّ كل من جرّب العديد من هذه التقدمات الجديدة في الطب يسلّم بأنها تجيء مع زيادة كلفة بخمسة أو عشرة اضعاف العلاجات الموجودة. يجب التعامل مع هذه الحقيقة.

ماتْ رِدْلِي: ليس دائماً، في الواقع، يا مالكولم. هناك أشياء تغدو--

مالكولم غلادويل: نقطة واحدة أخيرة. ما أقوله هو انّ المشكلة الجديدة التي خلقناها تعني انّ علينا تعديلَ حماسنا بشأن التقدم الذي حققناه. فقد خلقَ مشكلةً جديدةً حتى لو حلَّ مشكلة أخرى.

ستيفن بنكر: بكلماتٍ أخرى، علينا الإصغاء لخبراء الاقتصاد! إذا صنعتَ مرضاً معدياً، فليس ثمة مقارنة بالمرة بين هشاشة حياة الناس في الماضي مقارنةً بالحاضر. ماتْ ذكرَ وباءاً في فرنسا، لكن كان هناك أيضاً الطاعون، الذي محى ربعَ سكان اوربا. وهلك عُشرُ سكان الأمريكتين بسبب دخول الأمراض من العالم القديم، كما هو الحال مع ما جرى في العالم القديم عند دخول مرض السفلس من العالم الجديد. معدّلُ الموت جراء الامراض المعدية انخفض بشكل كبير، وهناك دزينات من المضادات الحيوية الجديدة في الطريق. بالطبع، هناك سيناريوهات الخيال العلمي حيث يقوم مراهقٌ بلغاري، على سبيل المثال، باختراع بكتيريا مقاومة في مرآبه. لكن شبكة المعرفة التخصصية في البايولوجيا الجزيئية، العملاقة والمتقنة باضطراد، تَضبطُ ماكنةَ الحياة بطريقة تخفف فيها المخاطر وتجعلها شيئا ضئيلاً مقارنة بما عاشته البشرية على امتداد وجودها.

ماتْ رِدْلِي: في مجرى المناقشة، أحدكما - لا أتذكرً مَنْ منكما، لأنكما تبدوان متشابهين - هزأ من موضوع الدودة الغينية، إذا كنتُ أتذكّرُ بشكل صائب. من الجدير بالذكر انّ الدودة الغينية--

آلانْ دو بوتون: أعتقدُ انّ ذلك كان بعد أنْ هزأتَ أنت من أسخيلوس وهاملت.

ماتْ رِدْلِي: ربما.

آلانْ دو بوتون: نعم، أعتقدُ انّ ذلك حدث بعدها مباشرة.

ماتْ رِدْلِي: من الجدير تذكير الجميع بما يمكن أنْ تفعله الدودة الغينية. في نهاية عقد الثمانينات كان هناك 3.8 مليون إنسان مصابٍ بهذا المرض. وهو ينجمُ عن الماء الملوّث بها. فهي تنمو في داخل ساق الشخص إلى أنْ يتم طردُها خارجا بغليان القدم--

آلانْ دو بوتون: أتفقُ معك بخصوص الدودة الغنية. أنا أسلّمُ بالأمر.

ماتْ رِدْلِي: وعليكَ أنْ تلفّ عيدان ثقابٍ حول الدودة لكي تسحبها خارجاً، بمسافة بوصة في كل مرة، على امتداد عدة شهور. جيمي كارتر التزم بازالتها، قائلاً انّ كلّ المطلوب هو ماءُ شُربٍ أَفضَلُ تصفيةً. في العام الأخير كانت هناك تقريباً أربعون حالة في جنوب السودان هي كل ما تبقى منها.

آلانْ دو بوتون: بالطبع. هذا شيء رائع. المسألة ليست أنّ كلّ شيء في طريقه إلى التدهور أو لا تقدماً تم تحقيقه. الموقفُ تجاه المستقبل هو ما أحسبُ اننا نحاول وضع الإصبع عليه. السيد بنكر أشار بروعة--

ماتْ رِدْلِي: بمعنى أنْ ليس مسموحاً لنا أنْ نكون متفائلين--

آلانْ دو بوتون: كانت هناك لحظةٌ رائعة في الغرفة الخضراء[45] في وقتٍ أبكر من هذا اليوم عندما قال ستيفن: «إستناداً إلى فلسفتي، أليسَ من المضحك، عندما أعود إلى بيتي، أنْ يتمّ ضربي بهراوة إلى حد الموت من شخص غريب؟» وضحكنا جميعاً كما ضحك ستيفن. أعتقد انّ ذلك يصبُّ في قلبِ ما نريد قوله. السبب الذي جعل ذلك مضحكاً--

ماتْ رِدْلِي: اعتقدتُ انّ الغرفة الخضراء خارج حدود المناظرة.

آلانْ دو بوتون: هناك قولٌ يهودي قديم،»الإنسان يفكر، والإله يضحك»، بعبارة أخرى، إنه درسٌ في التواضع. وكان ستيفن في نكتته العَرَضية في الغرفة الخضراء يعترف انّه مهما كانت نظرياته، يظلّ هشّاً وفانياً. قد يُضرب بهراوة إلى حدّ الموت، وسرديته البوليانية الكبرى يمكن تقويضها. في النهاية، هذا ما نقوله، مالكولم وأنا. نحن لا نقول انّ كل التقدم سيء. نحن نحاول ببساطة التحذير من انّ في وجهة نظركما نوعٌ من نبرة علميةٍ مُعَلمَنة تبشيرية، يمكن أنْ تكون مزعجة جداً في سياق القبول الملائم بما ستكون عليه الحياة، وهذه نقطة تتكرر دائرياً.

ماتْ رِدْلِي: ها هي العودة إلى الصفات مرة أخرى. آلانْ، هل تعني بجدية، إذا ضُربَ ستيفن اليوم بهراوة إلى حدّ الموت، فإن عليّ التخلي عن نظرتي عن تحسّن العالم؟

---

(45) إشارة إلى محادثاتهم في ما بينهم قبل بدء المناظرة.

آلانْ دو بوتون: إذا وضعتَ غطاء على جثة ستيفن وودَّعته إلى المشرحة، وبعدها طمأنتَ نفسك ببعض الإحصائيات بأنه كان قليل الاحتمال جداً في الواقع أنْ يُضرَبَ صديقُك إلى حدّ الموت، وذهبتَ إلى السرير وتمكنتَ من النوم، فإنك ستبرهن ما نقوله بشأن إنسانيتك.

ماتْ رِدْلِي: لا. سأذهب إلى جنازته. سأكون حزيناً جداً. ولكني لن انقلب فجأة لأقول انّ هذا الحدث يثبتُ انّ العالم برمته يسير إلى الأسوأ.

مالكولم غلادويل: نحن سنجلس لخمسة دقائق من التبصُّر والتفكُّر الذاتي--

ستيفن بنكر: أعتقد انّ عليّ قولَ شيء بهذا الشأن.

رودْيارد غْرِفِنْس: نعم، دون شك. قد نقومُ ببعض الترتيبات الأمنية الاضافية على طريق العودة إلى البيت هذا المساء. سنختتم هذا الجزء من المناظرة بإشارات أخيرة من مالكولم. وبعدها، ستيفن، سنعطيك الكلمة الأخيرة. مالكولم، تحدثْ. هل عندك شيئاً لتقوله؟

مالكولم غلادويل: حسناً، كنتُ اتساءل ما إذا كان لديك سؤال لتسأله، لكن--

رودْيارد غْرِفِنْس: لا، لا. رغبتُ فقط باختتام هذه المناقشة عن هلاك ستيفن والذهاب إلى الاشارات الختامية في المناظرة.

مالكولم غلادويل: العديدُ من الأشياء حدثتْ لي عندما كنتُ استمع اليها. أفترضُ أنّ بوسعي إعادة صياغة أفكاري هذه المرة. أولاً، أتمنى لو

انّ لديّ بهجة الثقة بالنفس التي يمتلكانها، بحيث كلما تخيلتُ سيناريو من السيناريوهات الأسوأ أستطيعُ مناقشته باعتباره مجرّد خيال علمي. يا لها من طريقة رائعة لطرد كل الأفكار المشؤومة. أتمنى لو حدث لي هذا عندما كنتُ مراهقا وكنتُ في ذروة الأفكار المضطربة والقلقة عن العالم والوجود. عندها لكانتْ لديّ فترة مراهقة أكثر سعادة بكثير. النقطة الثانية هي--

آلانْ دو بوتون: سيثيرون موضوع الدودة الغينية. فكلّ نقطة ضعف يتم طرحها سيردّون عليها بموضوع الدودة الغينية.

مالكولم غلادويل: والنقطةُ الثانية هي، عند إصغائي إلى ماتْ رِدلي في مناقشته المرحة تماماً عن الضرب الافتراضي لصديقنا العزيز السيد بنكر، أنسجمُ مع ما قاله آلانْ. نحن نطلب فقط مجرد برهة قصيرة من التفكُّر الذاتي والاستبصار الداخلي، قليلاً من الفهم بأن هذه المواضيع لا يمكن حلّها تماماً عبر لجوءٍ بسيطٍ إلى الإحصائيات أو ما كتبته صحف مثل (الطبيعة) أو (العلم) في الاسبوع الماضي. نتمنى عليهما التحوّل خارج عالمهما العلمي الضيق المقيَّد ومقاربة هذه المشاكل في ضوء تركيبيتها COMPLEXITY[46] بكاملها.

روديارد غرِفِنْس: رائع. سنعطي الكلمة الأخيرة في هذا الجزء من المناظرة لك أنت، ستيفن.

ستيفن بنكر: حسناً. لأنّ الكثير من هذه المناظرة يبدو متصلاً بضربي

(46) بمعنى المشاكل الأكثر تعقيداً والمُركَّبة من عدة عناصر ومكوّنات مترابطة ترابطاً وثيقاً مُتعذَّر الاختزال او التبسيط دونها تشويه.

الوشيك بهراوة، أرغبُ بقبول هذا الاحتمال! أعتقدُ لو تم ضربي بهراوة إلى الموت في هذه الليلة، فإنّ ماتْ سيوافق ويسلّم. لكن إذا غَردتُ غداً صباحاً بأنّ اشاعات عن موتي بولغَ فيها كثيرا، عندها سأدافع انّ جانبنا سوف يربح، لأن احتمالات ضرب أياً منا بهراوة إلى الموت ضئيلة جداً ومجرد نسبة بسيطة مما كانت عليه قبل عدة قرون. أما بخصوص موضوع البساطة SIMPLICITY ضد التقعيد COMPLEXITY، مالكولم، هل تقول انّ المقاربة العلمية لموضوع التقدم تبسيطية؟ وبدلاً عن ذلك علينا النظر إلى أسخيلوس أو إلى الخيال العلمي؟ أنا ادافع عن الرأي بأننا إذا أردنا فهم العالم والطريقة التي يسير بها، وأيّ السيناريوهات محتملة، وأكثر اهمية، وكيف يمكن التعامل معها، فالعلمُ هو الطريقة المتقَنة للتعامل مع هذه المشاكل، وهو ليس طريقةً تبسيطية. إذا أردنا معرفة ما ينبغي فعله لاستمرارية مسار تقليل المرض، الجوع، والتغير المناخي، أو لزيادة عمر الإنسان، أو لجلب الاطفال إلى المدرسة، عندها نعم، العلم هو الموضوع الذي ينبغي النظر فيه. إنه ليس الطريقة التبسيطية للتعامل مع هذه المشاكل وتحليلها. لا أعتقد انّ الأدب الروائي هو الطريقة الملائمة لمعرفة كيفية التعامل مع التحديات الجدية التي تواجهنا. ينبغي علينا التعامل معها من خلال العلم.

رودْيارد غرِفِشْ: جيد جداً. لنتحركْ قُدماً. مناظرة مفتوحة ممتازة. ولأننا سمعنا للتوّ مالكولم وستيفن، فسأغيّر ترتيب اختتام التصريحات قليلاً. لذلك، آلانْ، سنستمع اليك أولاً.

آلانْ دو بوتون: أنا مسرور لأنّ ستيفن أظهر فعلاً ألوانه الحقيقية. ولا أعتقدُ كان بإمكانه الإتيان بما هو أكثر غلطة. أريدُ تجميدَ اللحظة. فواحدٌ

من أعظم علمائنا قال تواً انّ الأدب ليس حقيقياً، وانه مصطنع أو مصنوع. بكلمات أخرى، انّ عمل الخيال شيء لا فعالية له. وهو يحاجج بأنّ العلم يملك الأجوبة، والإنسانيات[47] HUMANITIES لا شيء لديها منها. هذا ما كنتُ مرعوباً منه، وستيفن أكّدَ لي اني كنتُ على صواب في خوفي. هذا بالضبط هو الموقف الخطر جداً من العلماء. تأريخياً، عرف العلماءُ العظام حدودَهم وعملوا مع الدراسات الإنسانية لفهم تعقيدات الذهن البشري. مَنْ هو ماثل أمامكم، ايها السيدات والسادة، نوعٌ جديد من العلماء واثقٌ جداً مما يمكن له ولمختبره أنْ يفعل بحيث نبذَ ألفي عامٍ من البصيرة في مجال الدراسات الإنسانية، من الدين، ومن أيّ شيء يقع خارج المنهج العلمي. وهذا شيء اختزالي جداً وخطرٌ جداً. في الماضي، حلم الناس شديدو التدين بمملكة الله الجديدة، حيث الخلاص من كل المشاكل عبْرَ نور العقل. الولايات المتحدة تقع على الجانب الآخر من الحدود، وقد بُنيتْ على فكرة انشاء مملكة سماوية هنا على الأرض من خلال الدين. ما يمثله هذان السيدان نسخةً علميةً مُعَلمَنةً من مملكة الله الجديدة. لقد كان ذلك خَطِراً سابقاً وهو خطرٌ اليوم، لأنه يولّد فنطازيات ألفية MILLENIAL عن الكمال، وهذا أمر شديد الخطورة. في كندا، في أوربا، وأجزاء أخرى من العالم، نتذكر انواعاً أخرى من الإرث أكثر تعقيدا، نَقبَلُ فيها استحالة كمال الطبيعة البشرية، وأنّ أَفضَل طريقة هي تحسين قوانينا، مجتمعاتنا، وعلاقاتنا مع بعضنا البعض، لا عبر الإحصائيات أو افتراض قدرة العلم على تقديم كل الأجوبة. صدقوني، أنا مؤمن شديد بعجائب العلم. ومثلُ الجميع، داعمٌ بعمق لتلك البحوث الشجاعة التي أزالت بعيداً كل أنواع المرض في افريقيا. ولكن، سيداتي

(47) الدراسات الإنسانية باعتبارها مجالًا مختلفاً عن العلوم الطبيعية.

سادتي، لا تسمحوا لهذا الأمر بأرجحتكم بشأن تقييم الحركة الجارية. فبوسعكم الشعور بفخرٍ كبير بما قام به العلماء من دون أنْ تتمنوا، كما يريد هذا الفريق منا، نبذَ كل تعقيدات النفس، أو النزوعات الفوق-طبيعية التي نسميها الروح. هذه الصراعات تستمر، ولدينا الفلسفة، الفن، ومجالات أخرى للتعامل معها، وهي تقف كتفاً إلى كتف مع العلوم على أمل جعل الحياة لا بالضرورة أكثر كمالاً، ولكن، أحياناً، أقلّ ألماً. هذا ما أدافعُ عنه: نسخةً أكثر إنسانية وواقعية لمعنى الحياة. شكراً لكم.

ماتْ رِدْلِي: «ليس الإنسان الذي يشعر بالأمل عندما يَقنطُ الآخرون هو من يُعتبر حكيماً عند طبقةٍ كبيرة من الناس» كما يقول جون ستيورات مِلْ، «وإنما الإنسان الذي يَقنطُ عندما يأملُ الآخرون». بتعبير آخر، اعتقدْنا دائماً انّ آل كاساندرا كانوا حكماء وآل بوليانا حمقى. لكن التأريخ يعلّمنا انّ هذه هي الطريقة الخاطئة المقلوبة في التفكير. فآل كاساندرا كانوا دائماً تقريباً على خطأ وآل بوليانا نادراً ما كانوا مبتهجين بما يكفي، حسب التأريخ. المتشائمون بشأن الزمان المـُقبل، في شبابي، كانوا مخطئين عندما أخبروني انّ العالم والمستقبل مظلمان. وكانوا مخطئين بتعليمي نصيحة القنوط بشأن ذلك. لكني لا أوافق على فكرة انّ المتفائلين من أمثالنا، ستيفن وأنا، يعتقدون بكمال العالم. لا أعرفُ من أين أتى آلانْ بهذه الفكرة. بالطبع لا نعتقد ذلك. نعتقدُ العكس تماماً. نعتقد انّ العالم «وادٍ من الدموع»، «مستنقعٌ للقُنوط»، مقارنةً بما يمكن أنْ يكون عليه - وسيكون كذلك في المستقبل - إذا فعلنا ما هو صائب. لستُ متفائلا مزاجياً، وانما بالبراهين. فهذا ما يغير تفكيري. لا نقول «لا تقلقوا، كونوا سعداء»، وإنما نقول «لا تقنطوا، كونوا طموحين». لا نقول انّ كلّ شيء سيكون على ما يرام. ستكون هناك حربٌ وألمٌ وشقاء

في المستقبل، ولكن كان هناك منها ما هو أكثر في الماضي. وبالحديث عن الماضي، سأُقدّمُ إلى آلانْ القليلَ من الإغريق القدامى. عاش هزيود في العصر الذهبي للإغريق. وحتى هو اشتكى من انّ الأشياء ليست كما اعتادت أنْ تكون عليه. لقد بدأنا بالكاد في جمعِ حصادِ الابتكار القادر على تحسين حياة البشر في المستقبل وشفاء الكوكب الذي نعيش فيه. وهذا ما يجعل مِنّا، ستيفن وأنا، مختلفين عن الدكتور (بان) DR. PAN في رواية فولتير (كانديد) CANDIDE. بانغلوس PANGLOSS يشرح لكانديد انّ موت 70 ألف شخص في زلزال لشبونة لا بدّ أنْ يكون لأجل الأَفضَل، لأنّ الله هو الذي صنع العالم وهو غير قادر على جعله عالماً ناقصاً، لهذا لا بدّ انهم أناس سيئون. فولتير كان في الواقع يغمزُ من طرف ثيوديسيا THEODICEE لايبنتز[48] LEIBINZ ومن بيير لويس موباتوي[49] PIERRE LOUIS MAUPERTUIS، ربما لأن سيدته كانت تنام مع موباتوي. اليوم نسمّي بانغلوس متشائماً، شخصاً يعتقد اننا فعلاً لا نستطيع تحسين قَدَرنا، وأنّ العالم كامل باقصى ما يمكن. التقدم كان حقيقياً. التقدم حقيقيّ. التقدم كان خيراً للأغلبية الكبرى من البشر. التقدم كان خيراً بوجه خاص للفقراء. وليس ثمة سبب للاعتقاد بتوقفه المفاجئ الآن، لمجرّد أننا لا نفكر بما يكفي عن الروح أو النفس. هناك كل الأسباب للتفكير انّ المستقبل سيكون مشرقاً. وأعتقدُ عليكم التصويت لصالح الحركة إذا كنتم تعتقدون ذلك.

مالكولم غلادويل: أريدُ التحدث عن شيء لم نتكلم عنه تقريباً بما

(48) (ثيوديسيا) أحدُ مؤلفات الفيلسوف الألماني الشهير غوتفريد فلهلم لايبنتز (1646–1716) يرى فيه أنّ الله خلق أَفضَلَ العوالم الممكنة رغم انه ليس عالماً كاملاً.
(49) عالِمُ رياضياتٍ وبايولوجيا وفلك فرنسّي (1698–1759).

يكفي هذه الأمسية، وهو أمرٌ غريب فعلاً، لكن ربما كان ذلك لأن نظيرينا المحترمين على الجهة الأخرى من المناظرة أمضيا جوهرياً معظم الوقت وأيديهم على عيونهم وآذانهم مردّدين «لالالالالا»[50]. وما أقصده، بالطبع، السلاح النووي. والقصة التي تظلّ دائماً معي وأعتقد انها تتحمل الإعادة في هذه الأمسية هي القصة المعروفة بحادثة (بتروف). ففي السادس والعشرين من سبتمبر 1983 كانت العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في أدنى مستوىً لها على الإطلاق. والرحلة الجوية الكورية 007 كان تم اسقاطها للتوّ بواسطة السوفييت. كُنا على شفا الهاوية بأقصى ما يمكن، ربما، أقصى اقترابٍ من حرب نووية في لحظة ما. الصقورُ في واشنطن اصطفوا جميعا سوية، ويوري اندروبوف في موسكو اعتقدَ انّ الولايات المتحدة ستكون على وشك اطلاق ضربة نووية أولى. وفي هذه النقطة، في ذروة البارانويا[51]، نظر اللفتنانت كولونيل المدعو ستانسلاف بتروف من قوى الدفاع الجوي السوفيتية إلى شاشة الكومبيوتر وشاهد تقريراً عن صاروخ نووي قادم من الولايات المتحدة يستطيع تفجير الاتحاد السوفيتي. وكان يعرف الاجراءات المطلوبة: إذا اطلقتْ اميركا الضربة الأولى فعليه الردّ بقوة كاملة. فما الذي فعله؟ حسناً، لقد قرر انّ ذلك كان قُصوراً في الكومبيوتر ولم يضغط الزرّ. وتردده هذا هو السبب الحقيقي لكوننا نجلس هنا اليوم. الدرسُ من هذه القصة واضح. فهذا لم يكن ممكن الحدوث في القرن الخامس عشر، رغم ما كان عليه ذلك القرن من بؤس. ولم يكن ممكن الحدوث في القرن السادس عشر أو السابع عشر أو الثامن عشر أو التاسع عشر أو العشرين، وصولاً إلى

(50) بمعنى امتناعهما عن الإصغاء والاستماع.
(51) اضطرابٌ عقلّي يتضمن الشكّ والشعور بالاضطهاد.

عام 1940 تقريبا. وهذا التهديد صناعةٌ حديثة بامتياز. فكرة أنَّ قصوراً في الحاسوب يمكن أنْ يُفضي إلى تفجير كل الوجود - والتهديد بذلك - فكرة حقيقةٌ اليوم كما كانت عليه قبل ثلاثين عاماً في حادثة بتروف. ولهذا أعود إلى النقطة التي ذكرتُها في بداية هذه المناظرة. لقد قُمنا بأشياء استثنائية على امتداد المئة أو المئتين أو الثلاثمئة عام الماضية في مجال تقليص المخاطر المتعلقة بالاشخاص وفي تحقيق التقدم في الطرق اليومية للعيش. السيد بنكر قدّمَ عشر مناطق مثلتْ هذا النوع من التقدم. ومات ردلي قدّم لكم أكثر. كل ما قالاه صحيح. لكنّه ليس صُلب الموضوع. فبينما قللنا تلك المخاطر المتعلقة بالأشخاص، فقد رفعنا المخاطر المتعلقة بوجودنا. وتصويتكم لصالح تأييد اطروحة المناظرة، يعني انكم تعتقدون انّ هذه الاستبدالات تجعلنا في وضع أَفضَل. لكنها ليست كذلك.

رودْيارد غْرِفِنْس: ستيفن.

ستيفن بنكر: الجميع يعرف هشاشة الذهن البشري تجاه الأوهام، الانحيازات، والمغالطات. عددٌ من هذه العلل يخدعنا ليجعلنا نعتقد بتدهور العالم أو اننا في خطر وجودي وأننا كنا دائماً كذلك. أولاً، نحن نتأثر كثيراً بالصُوَر المُتذكَّرة. وهذا هو ما يعطينا إياه العالم، من خلال الإعلام الذي يركّز على الإثارة والحوادث المثيرة والعنيفة. ولهذا نخشى هجوماتِ أسماك القرش وخطفِ الطائرات بينما ما تنبغي خشيته السقوط من السلالم أو كتابة الرسائل النصّية أثناء قيادة السيارة. والآن، الهواتف الذكية جعلت المليارات من البشر نوعاً من صحفيين في مواقع الأحداث وبات العالمُ يبدو مُشتمِلاً على اطلاق نارٍ وانفجارات أكثر من أيّ وقت مضى. ثانياً، نحن نخلط بين

التغيرات في داخلنا والتغيرات في الأزمان. وعندما نتقدمُ في السن، نمسي أكثر شعوراً بالحماقات والأخطار التي كانت دائماً موجودة. وهكذا، فكلّ جيل يحنّ إلى الماضي، إلى تلك الأيام القديمة الطيبة. ثالثاً، كل شخص هو ناقد اجتماعي. وكما لاحظ هوبز[52] HOBBES "المنافسة في الإطراء تنزعُ لتوقير العصور القديمة. لأنّ الناس يتساجلون مع الأحياء، لا مع الموتى". مؤخراً، قدّم عالم البيئة هانز روسلنغ HANS ROSLING لألفِ شخص عدداً من الأسئلة ببدائل متعددة، للإجابة عن أمور بشأن أعداد السكان، وتعلم القراءة والكتابة، وتوقعات مدى العمر، والفقر. وذكرَ التالي "إذا كنتُ كتبتُ البدائل على الموز وسألتُ عدداً من الشمبانزي في حديقة الحيوانات التقاط الإجابات الصحيحة، لكانوا اختاروا أَفضَل من الأشخاص المشاركين". والسبب هو أن الاشخاص المشاركين التقطوا باتساق الأجوبة الشديدة التشاؤم. توصلتُ أنا أيضاً إلى النتيجة نفسها في مسحٍ عن العنف في الحاضر والماضي. وهذا ما يردُّ على زعم السيد بوتون بأنّ الموقف التلقائي للبشر هو التفاؤل. الوقائع عكس ذلك تماماً. سيداتي سادتي، يمكن لكم أنْ تفعلوا أَفضَل من الشمبانزي. علاجُ المغالطات الإدراكية هي بيانات DATA، وخطوطُ الاتجاه واضحة. كمُعدَّلات، يعيش الناس أطول، أكثرَ صحة، أكثر غنى، أكثر أماناً، أكثر حرية، أكثر تعليماً، وحياةً أكثر سلاماً. ورغم انّ انجازات الماضي ليست ضماناً ضد انتكاسات المستقبل، فإنّ العالم ليس بورصة (وول ستريت). فمن غير المحتمل الاستيقاظ يوماً ذات صباح لنواجه عالماً مصاباً بالجدري أو مَزاداً للعبيد أو جراحة من دون تخدير. ولأجل التأكيد، فإنّ العالم يواجه تحديات مهولة. وهذا ما يقودني إلى النقطة

(52) فيلسوف انكليزي (1588-1679).

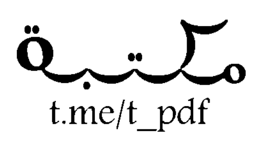
الأخيرة في حديثي. التفاؤلية هي نبوءة تحقيقٍ ذاتيّ، مثلما التشاؤمية. التقدمُ الذي نتمتع به ليس نتيجةً لجدلٍ تأريخي غامض أو قانون عن التقدم المحتم أو تصويباً للمسار صوب العدالة. إنه نتيجة لكون الناس يحددون المشاكل، بما في ذلك هشاشة وضعهم، والإنتشار النووي، وبدلاً من النواح بأنهم مقضيٌّ عليهم، عليهم توظيف عبقريتهم وجهودهم لحلّها. مسحٌ حديث أظهر انّ المعتقدين بأنّ طريقتنا بالحياة ستنتهي بحدود قرنٍ من الزمان صادقوا أيضاً على القول أنّ "مستقبل العالم يبدو معتماً، ولهذا علينا تركيز جهودنا على العناية بأنفسنا". سيداتي سادتي. لا تكونوا من بين هؤلاء. فليس من المسؤولية الكافية أنْ نكون جبريين[53] FATALISTS عندما تشيُر المؤشرات الموضوعية إلى سير العالم نحو الاسوأ، فما بالكم عندما تقول المؤشرات انّه يغدو أَفضَل؟

رودْيارد غْرِفِنْس: شكراً لكم أيها السادة. ممتاز. حسناً، سيداتي سادتي، كانت هذه مناظرة كبيرة ممتلئة. أريد شكرَ المتناظرين الأربعة. لقد أتيتم إلى هنا مستعدين، ورددتم الصاع بالصاع، كنا نحن المستفيدين من كل ذلك. شكراً لكم مرة أخرى على هذه المناظرة المدهشة. أحسنتم. كانت منافسة رائعة.

خلاصة: نتائج ما قبل المناظرة 71 بالمئة من المؤيدين لأطروحة المناظرة، و29 بالمئة ضدها. والتصويت النهائي أظهرَ زيادة 2 بالمئة لصالح المؤيدين مقابل 27 بالمئة للمعارضين. واستنادا إلى انّ أكثر المصوتين أصبحوا إلى جانب المؤيدين، فإنّ النصرَ يذهب إلى ستيفن بنكر وماتْ رِدلي.

(53) من يعتقدون بخضوع الأحداث والأفعال إلى الحتمية.

حوارات ما قبل المناظرة


مكتبة
t.me/t_pdf

مالكولم غلادويل في حوار مع رودْيارد غْرِفِثْس

رودْيارد غْرِفِثْس: مرحباً بكم في حوارات ما قبل المناظرة، لمناظرة مَنْك عن التقدم. ستكون المناظرة عن «هل أَفضَلُ أيامِ البشر قادمة؟»، ومن المحاججين ضد ذلك سيكون مالكولم غلادويل، وهو أحدُ المؤلفين الأَفضَل مبيعاً في العالم ومؤلِّفٌ في كادر مجلة النيويوركر. مالكولم، دعنا نبدأ بتقديم بعض المحاججات الأساسية التي ستطرحها في مناظرة هذا المساء. أعتقدُ انك ربما تسبح قليلاً ضد التيار في ثقافتنا الحالية، حيث هناك استثارة كبيرة بخصوص التكنولوجيا وبعض القوى الكبرى في العالم التي تَكشفُ عن نفسها.

مالكولم غلادويل: نعم، وأعتقد من المهم ملاحظة انه بينما نستطيع التقدم في مناطق منفردة فهذا لا يعني بالضرورة اننا في وضع أحسن إجمالاً، أليس كذلك؟ لهذا، أتصور انّ الطرف الآخر سيقدم الجوانب المحددة التي حققنا فيها تقدما حقيقيا مقارنة بالماضي، حيث تكون كل التوقعات استمرار التحسن في الأعوام القادمة. وسأسلّم بكل ذلك معهم، فهم على صواب

بشكل تام. ويمكنني الجلوس هنا ببساطة لأدوّنَ قائمةً بالأشياء التي أعتقد بتحسننا فيها مستقبلاً، لكن هذا حتى لا يمثّلُ بداية للإجابة على السؤال فيما إذا كنا سنكون أفضل حالاً، من زاوية إجمالية، في مدى خمسة أو عشرة أو خمسة وعشرين عاماً من الآن. أنا أكثرُ اهتماماً بأسئلة من قبيل: عندما تقوم بتحقيق تقدم ضد مشكلة منفردة هل سنخلقُ مشاكل اضافية؟ ما هي هذه المشاكل الاضافية، وهل هي أكبر، أم بنفس القدْر، أم أقلّ من المشاكل التي حَلَلناها؟

روديارد غْرِفِثْس: الأسلحة الذرية ستكون مثالاً ممتازاً. إذا كنا نريد إضاءة المدن، فاننا نستطيع تفجير المدن.

مالكولم غلادويل: بالضبط.

روديارد غْرِفِثْس: نحن نخترعُ تكنولوجيا النانو، نسلّحها، ثم تقومُ هي بمحونا من الأرض. هل هذا النوع من الاستخدام المزدوج في العديد من مجالات التكنولوجيا ما يُقلقك؟

مالكولم غلادويل: مع تقدم التكنولوجيا، ومجالات أخرى، ينمو حجم الطبيعة الكارثية للنتائج السيئة بشكل شديد التصاعد. وهكذا مع كل خطوةٍ كبيرة نقوم بها في منطقة معينة، نقوم بخطوة كبيرة أخرى للوراء. على سبيل المثال، قدرةُ الجنس البشري على تدمير نفسه. أعتقد من المهم، من وجهة نظري، أنْ لا نبدو متشائمين. نحن أبعدُ ما يكون عن ذلك. وموقفي ببساطة هو انّ العالم مختلف، ومع تحركنا قُدُماً، لا اعرف ما إذا كنا نسير باتجاه الأفضل أم الاسوأ. ما يصعقني انّ الطرف الآخر يصرّ على حتمية إثبات

اطروحة المناظرة. أنا ببساطة عليّ أنْ أرفع كتفيّ، وإذا اتفق الحضور معي بأن علينا رفعَ اكتافنا، فاننا سوف نربح[54].

روذْيارد غْرِفِثْس: مناظرة فرنسية جداً. أخْبِرني عن التقدم البشري في ما يخصّ الجانب الاخلاقي. هناك محاججة بأننا لا نتقدم فقط في مجال العالم الخارجي، وانما نحسّنُ أنفسَنا أيضاً نوعاً ما. ستيفن بنكر واحدٌ من الدعاة الرئيسيين لهذا الرأي.

مالكولم غلادويل: محاججة بنكر، التي يقدّمها في كتابه (الملائكةُ الأَفضَلُ في طبيعتنا) مألوفةٌ، وفي الوقت نفسه، ليست في صُلب الموضوع. هل اننا كبشرٍ أَفضَلُ مما كنا عليه عندما، كما يقول في اقتباسه التمهيدي «نرمي العذارى في البراكين ونقطعُ أيدي مَن يسرقون الزرع[55]؟ لا ريب في ذلك. لكن لا أحداً قال لسنا كذلك. ما يصعقني انّ ذلك صحيح جداً حتى انه تقريباً نوع من كليشيه. فهو لا يحلّ السؤال عما إذا كان الشرّ الفردي العجيب لحفنةٍ من الأفراد، في يومنا الحاضر، يمكن أنْ يسبب فرقاً كبيراً في حياتنا. وهكذا فــ 99.9 بالمئة قد يكونون أَفضَل حالاً عما كنا عليه في الماضي، لكن الـ 0.1 بالمئة من الآخرين يمكنهم جعلَ حياتنا فعلاً تعيسة جداً جداً. لقد تطلّب الأمرُ (ستالينَ) واحداً ليقضي على عشرين مليون إنسان في الاتحاد السوفيتي. حتى لو كان بقية مَن يعيشون في الاتحاد السوفيتي ملائكة، فهذا لا يغير من حقيقة كونهم عانوا قَدَراً مُعتِماً جداً على يد دكتاتور واحد. وبالتالي، لا أعتقد هذه المحاججة مفيدة حقاً لإضفاء معنى على العالَم.

---

(54) أي التغلُّب في هذه المناظرة على الفريق الأخر.

(55) Cabbage: نباتُ الكرنب.

روديارد غْرِفِثْس: يبدو انّ لدينا هَوَساً بالتقدم، منذ أبكر بدايات المسيحية وصولاً إلى المرحلة الحديثة، والآن الانبهار بالذكاء الاصطناعي. هل نستخدمُ التقدمَ كاستراتيجية تعويضية لمساعدة أنفسنا على التصالح مع توقعاتٍ معينة عن أنفسنا؟ من أين ينبعُ ترسيخُ هذه الفكرة، في رأيك؟

مالكولم غلادويل: إنها خيالٌ نافعٌ جداً، لكنه سيكون مثمراً جداً لو كان صحيحاً. دعني أقدّم لك مثالاً. أنا عدّاءٌ كبير. العدائون يحبون الاعتقاد بالتقدم لأنه في كل سنة نرى الأرقام القياسية العالمية تتحطم، أليس كذلك؟ ولأننا نرى هذه الارقام القياسية تتساقط نشاركُ بنوعٍ من الوهم الكبير بأن جماعة العدائين يقومون بخطوة صغيرة للأمام في كل سنة، واننا نفعل أَفضَل ممن سبقونا. ولكن هل يصبح السباقُ أكثر اثارة لمجرد أنّ عَداءً أنهى مسافة المئة متر بـ 9.5 ثانية بدلاً من 9.51 ثانية؟ هل سيجعل هذا الرابحَ أكثر رضىً وإشباعاً؟ هل سيجعل الجمهورَ أكثر استثارة؟ هذا لا يغير أياً من الوقائع المادية ذات المغزى. قد يعني فقط انّ شخصاً ما ضبّط نوع الرزّة في حذائه أو انّ سطح ميدان السباق كان مختلفا قليلاً. أعتقد انّ ثمة مغزى بكوننا نصنّم[56] FETISHIZE هذه الفكرة عن التقدم حتى عندما لا تُمثّلُ أيَّ اختلاف ذي معنى بشأن مَن نكُون.

روديارد غْرِفِثْس: من الممتع إشارتك للعَدْو. هل تعتقد انّ التقدم مرتبط بانشغالٍ شخصي وجماعي بالربح؟ فنحن نريد أنْ نربح لا نخسر.

مالكولم غلادويل: أحبّ هذه المحاججة لأنها تجعل نظيرينا يبدوان

(56) أيْ إضفاءُ التبجيل أو السحر أو القداسة عليها.

سطحيين وغليظي القلب بشكل عجيب، وهو ما أعتقده قراءة مناسبة تماماً لدوافعهم. وتجعلنا، أنا والانْ، نبدو نوعاً ما أكثر تطوراً، وهذا صحيح ربما.

رودْيارد غْرِفِثْس: جانبكم من المناظرة يتقدم، وجانبهم يتراجع[57]. مالكولم غلادويل، شكراً لمجيئك إلى تورنتو، وشكراً لكونك جزءاً من هذه المناظرة.

مالكولم غلادويل: جيد جداً[58].

(57) اشارة إلى نتائج الاستطلاع التي كانت تجري عند اجراء الحوار.
(58) تعليقٌ على انّ نتائج الاستطلاع تجري جيداً في حينها.

آلانْ دو بوتون في حوار مع رودْيارد غْرِفِثْس

رودْيارد غْرِفِثْس: أنا في صحبة آلانْ دو بوتون، المؤلف والفيلسوف وواحدٌ من الفريق الذي، مع مالكولم غلادويل، سيحاجج ضد اطروحة هذا المساء «هل أفضلُ أيام البشر قادمة؟». آلانْ، من العظيم أنْ تكون معنا هنا في تورنتو.

آلانْ دو بوتون: شكراً جزيلاً.

رودْيارد غْرِفِثْس: أعطنا فكرة عن مقاربتك لمناظرة هذا المساء. أعتقد ربما أنت قلقٌ قليلاً من انّ العُرفَ الاجتماعي هنا يمكن أنْ يكون إلى جانب ستيفن بنكر ومات رِدْلي، بشأن كيف يفكر الناس بمستقبلهم وما بحوزتهم.

آلانْ دو بوتون: نحن نعيش في عالم لديه دافعان تفاؤليان قويان جداً، الأعمال BUSINESS والعلم. نعيش في عالم تجاري، وإذا أردتَ بيع أيّ شيء لأيّ شخص عليك أنْ تبدو إيجابياً بخصوص نفسك، مستقبلك، وتوقعاتك، وهكذا فالجوّ الذي نعيش فيه مبتهجٌ بشكل لا يُصدَّق. العلمُ يبهرنا ويَعِدنا

باستمرار بتغيرات هائلة. لكن على الرغم من هاتين القوتين الكبيرتين، أريدُ المحاججة بأن هناك عوائق عنيدة ومتكررة ضد الإنجاز وضد حياة سعيدة ملائمة. عندما يفكر الناس بما هو خاطئ في العالم ويقترحون طرقاً لتحسينه، يردّدون أشياء مثل التعليم. فهم يقولون نحن لا نعرف بما يكفي، وإذا استطعنا فقط تصويب النظام التعليمي ستكون الأمور على ما يرام. لكن هذا لا ينتهي أبداً. الناس يقولون فقط لو استطعنا تحقيق النمو الاقتصادي وإنهاء الفقر، فإنّ الأشياء ستتطور. ثم يقولون انّ انهاء الحروب والصراعات هو الحلّ. وان هناك الكثير من الأمل في الطب، بحيث نستطيع إنهاء الكثير من المعاناة فقط لو تدبّرنا تحقيق تقدماتٍ طبية إلى مستوى معين. أنا سويسري، وعندما يأتي شخص من سويسرا فهو يأتي من بلد حلَّ كل هذه المشاكل بأفضل طريقة يستطيعها البشر. سويسرا ربما متقدمة خمسة قرون مقارنة بأماكن مثل أوغندا وليبيريا. الأخبار السيئة هي انه لا يزال هناك الكثير من المشاكل، وأنا مهتم بهذه المشاكل التي تُسمّى مشاكل العالم الأول. هذا يبدو عادة فعلاً ازدرائياً، إهانة، كما لو انها غير موجودة. لكنها موجودة، ولها قدرة كبيرة على تشويه الوجود. الكثير من تركيزي هذا المساء سيكون على ماهية مشاكل العالم الأول هذه، وكم هي عنيدة، وكم تعترض رؤانا الأكبر بشأن جعلِ الحياة على الأرض كاملة.

رودْيارد غْرِفِثْس: هل تستطيع اعطاءنا مثالاً أو اثنين على مشاكل العالم الأول التي هي جوهرية وجدّية فعلياً، وليست مجرد نتيجةٍ للوقوف على رأس الهرم؟

آلانْ دو بوتون: واحدة من المآسي الحقيقية للتطور الاقتصادي هي

الاعتقاد بأننا سنحسّن السعادة البشرية عبر تحسين الظروف المادية للناس. على أية حال، هناك اقتصاديّ أسمه ريتشارد إيسترلن قام بدراسة شهيرة عن العلاقة بين الدَخْل والسعادة، منذ أكثر من أربعين عاماً. وقد حاجج بأنّه حتى لو انّ مجتمعاً ما غنيّ جداً بكل الاعتبارات، ستستمر الرغبةُ بما هو أكثر، وحسدُ الآخرين، والإحساسُ بموضوع المكانة والقلق[59]. نحن لا ننهي السخط المالي ببساطة عبْرَ إغناء الناس. المقارنةُ مرضٌ اجتماعي مستوطن، والحسد، الغيرة، والإحساس بعدم الملائمة يوجد بين المليارديرات. وفي هذا متّسع كافٍ للتفكّر. هذا مجردُ مثال واحد. حتى لو جعلنا كلّ العالم مليارديرات ستكون هناك منعرجات اقتصادية، تعاسة، وغمّ. لا أقول علينا التخلي عن هذا المسعى - بالطبع علينا المحاولة - لكن لا نتوقع أنْ يكون كلّ شيء كاملاً، ببساطة، لمجرّد كون الجميع يتمتعون بمستوى الدخل الذي لدى، مثلاً، طبيب أسنان سويسري، وهو ما قد يحدث على الكوكب خلال خمسة قرون من الزمان.

روديارد غْرِفِثْس: أَخبِرْنا قليلاً عمّا تعتقد ستسمعه من نظيريك هذا المساء، واللذين ربما سيكونان مستندين تماماً على البيانات. من المحتمل انهما سينظران إلى إزالة الامراض، تقليص الفقر المدقع على امتداد العالم النامي، ومدى عُمرِ الإنسان، حيث ارتفع متوسطُ عمرِ الإنسان عموماً على امتداد الكوكب. إذا نظرتَ إلى مجموعة من البيانات على امتداد المئة سنة الماضية تقريباً، فتلك الخطوط تبدو مثيرة للاعجاب تماماً وتتحرك على الرسم البيانيّ

(59) لآلانْ دو بوتون كتابٌ مترجمٌ الى العربية بعنوان (قلقُ المكانة). الحسدُ هنا بمعنى الشعور بالغيظ لأن الشخص يقارن نفسه بآخرين يراهم أفضل منه حسب الاعتبارات الاجتماعية السائدة.

بشكل جميل. كيف ستردُّ على تلك الفكرة؟

آلانْ دو بوتون: ما يفتقده صديقانا المتفائلان هو رؤية كمْ أنَّ الجنس البشري منحرف. لا أحد يريد انكار الخط التصاعدي الذي يشير له هذان الشخصان اللطيفان، لكن علينا الموازنة بين أشياء مثلَ القُدرة على زيادة المعايير التعليمية أو الزيادة الكبيرة في المعرفة المتاحة بيسرٍ لدى البشر، مع بقاء الحماقة IDIOCY والجهل رغم التعليم. الحلمُ العظيم للتنوير كان انّه من خلال التعليم سيتخلى الناس عن الانحيازات المسبقة، والأفكار البالية، والدوافع السيئة، وانّ هذه الأشياء ستذوب كالضباب في يوم مشمس تحت نور العقل. هذا لم يحدث. وقد رأينا صراعاً بعد آخر بين البشر المتعلمين. وعليه، فالتعليم ليس ترياقاً لكل الأمراض. الطبُّ شبيه بالتعليم من هذه الزاوية. فرغم كل التقدّمات في الطب، هناك شيء واحد يحدّق صوبنا في وجوهنا، وهو انقراضنا. كلٌّ منّا يواجه اشتباكه الأخير[60] ARMAGEDON، دينونته الخاصة[61] APOCALYPSE. بالطبع من العظيم حصول تقدم في المعرفة بأمراض القلب وعلاج السرطان وما شابه، لكن لم نستطع ولن نستطيع أبداً حلّ هذه المواضيع. أنا متفائل بشأن جنس غير الجنس البشري HOMO SAPIENS. أعتقد من الممكن، ربما في ألفِ عامٍ من الزمان، أنْ نخلقَ جنساً لا يموت، وقادراً بشكل ملائم على الانتفاع من المعرفة، سعيداً، وغير متأصل العدوانية[62]، لكن هذا لن يكون

(60) المعركة النهائية الكبرى الحاسمة بين الخير والشر التي ستاتي يوماً في آخر الزمان حسب معتقدات معينة.

(61) الرؤيا النبوئية بمحق الله للشرور في آخر الزمان.

(62) تشير بعض المعطيات العلمية إلى انّ دوافع الغرائز والشّر والأنانية لها جزؤها

الجنس البشري، سيكون جنساً آخر. استطيعُ أنْ أكون متفائلاً، ولكن ليس مع البشرية. ثمة جنسٌ أفضل تصميماً[63] BETTER-DESIGNED يمكن أنْ يأتي في خمسة قرون، وليس نحن.

روذْيارد غْرِفِثْس: يبدو انّ جزءاً من محاججتك يتعلق بما هو كَمّي مقارنة بما هو نوعي، والمدى الذي نحن مهووسون فيه بما هو كمّي في العالم الحديث. فنحن نركّز على القياسات التجريبية المحضة لأنفسنا ازاء الآخرين، ولمجتمعاتنا ازاء بلدان أخرى، بينما أنت تعتقدُ أنّ البُعدَ النوعي لحيواتنا، لأنفسنا من الداخل، لا يزال نطاقاً فقيراً على نحوٍ ما.

آلانْ دو بوتون: العديد من الأشياء تفلتُ من شبكة الإحصائيات. أنت لا تستطيع ببساطةٍ رسمَ خطّ في مجال الصحة، الدَخْل، المكانة الاجتماعية، وتقول للناس انّ من يقع أعلى هذا الخط سيكون راضياً. لأنّ مقداراً كبيراً من الموضوع يتعلق بذلك العامل الداخلي المراوغ المسمى التوقّعات EXPECTATIONS. واحدٌ من الأشياء التي ينبغي إبقاؤها في الذهن هي انّ توقعَ عدم تحسن العالم لا يعني انّ علينا أنْ نكون أرواحاً مكتئبةً مغتمّة. في الواقع، أريد أنْ أوصي الحاضرين بأن القدرةَ على التحديق بشكل حقيقي في وجه الوقائع المعتمة للوجود تهِبُ المرءَ نوعاً من الخفّة[64] BUOYANCY والقدرة على التعامل مع المشاكل. جزءٌ من هشاشة ونكَدِ العالم الحديث مرتبط بالتوقعات بشأن ما لن نصادفه أبداً، والإحساس بأنّ ما نستحقه تمتْ

الخاص المسؤول عنها في الدماغ البشري.

(63) بمعنى أفضَل تكويناً.

(64) BUOYANCY: خِفّة، عَوْم، مرح، ابتهاج.

خيانته. وهنا من الحكمة جداً أخذُ ورقةٍ من الرواقيين القدامى، الذين وصوا بقوةٍ بمقاربةٍ فلسفيةٍ للحياة يتوقع المرءُ فيها انّ الكثير من الأشياء قد يسير باتجاه خاطئ، وانَّ عليه تخطي ذلك، وإذا لم يستطع ستكون نهايته سريعة. وهذه تبدو كأنّها فلسفة غريبة جداً، لا سيما في أميركا الشمالية، لكني أحسَبُها الأملَ الأفضل الذي بحوزتنا. لا أعتقد انّ المتشائمين يتخلّون بالضرورة عن التقدم البشري. يستطيع الشخصُ أنْ يكون مؤمناً عظيماً بالتقدم البشري بينما يُبقي الوقائع المعتمة ضمن إطار رؤيته بوضوح. لهذا أريد انقاذ الجماعة المناهضة لفكرة التقدم من نوع من الرؤية المعتمة والكئيبة. نحن لسنا سوداويين. نحن واقعيون مبتهجون.

رودْيارد غْرِفِثْس: ما الذي تَخلُص اليه من واقع اننا كبشرٍ كُنا وما نزال مهووسين بالتقدم منذ ألفي عام تقريباً؟ كانت لدينا النظرية المسيحية عن التقدم، والنظريات في القرن العشرين بُنيتْ على نوعٍ من الدينامية الداخلية للتاريخ. هذا المساء، سنسمع من دون شك قصةً من ماتْ رِدلي عن كيف انّ التطور الاجتماعي هو نقطة الانطلاق الجديدة صوب التقدُّم. ما الذي يعنيه هذا؟ لماذا لا نزال مهووسين بهذا الفكرة عن التقدم كلّ هذه المدة الطويلة؟

آلانْ دو بوتون: حسناً، رودْيارد، أنت تضعُ اصبعك على شيءٍ مهمّ جداً باشارتك للدين بالصلة مع العلم. العلم هو نسخةٌ مُعلمَنةٌ من السردية المسيحية عن كمال البشرية، وقد كان هذا شيئاً انتاب الخيال الغربي منذ البدايات الأولى. نحن نستطيع تخيلَ الكمال لامتلاكنا ادواتٍ قوية جداً للخيال، وليس من الصعب اختزال كلّ شيء سلبي من شخصياتنا ومن مجتمعاتنا ببساطة وتخيّلُ السماء على الأرض، أورشليم الجديدة. اصدقاؤنا

العلميون غالباً ما يحبون التظاهر بكونهم لا يتحدّثون لغة تشير إلى النسخة العلمية من أورشليم الجديدة. أعتقد انّه حلم جميل، ومن المهم جداً إمتلاك أفكار كهذه لأنها تقدم خارطةَ طريق، إحساساً بالإتجاه، عندما نشيرُ إلى اورشليم الجديدة. لن نصلَ هناك أبداً لأنّ الكائنات البشرية وُهبتْ دماغاً، أحبُّ تسميته «الجوزة الخطّاءة» على قمّة أعمدتنا الفقرية، وهذه الجوزات الخطّاءة تُخطئ إصابةَ الأهداف، عدوانية، ولا تتذكر ما ينبغي تذكُّرُه، ومزوّدة بكل انواع الوسائل غير المجدية. حاولنا صنعَ حضارة كان ينبغي لها تصحيح شيء من اسوأ الحوافز والأنانيّة في الجوزات الخطّاءة، وقد فعلنا تلك المحاولة. الحضارة هي نوعٌ من دماغٍ أسمى يستطيع العناية بالأدمغة الصغيرة الخطّاءة جميعاً. ولكن حتى مع هذا، لن نستطيع أنْ نزيل تماماً العيوب المتأصلة[65] INBUILT. الذكاء الاصطناعي هو الحلم حالياً، أي أنْ نصنع بشراً كاملين من صُنع المكائن. بالمناسبة، أنا مهتم جداً بامكانات الذكاء الاصطناعي. ولكن في درجة الذكاء الاصطناعي الأكثر تقدماً سنستطيع فعلياً تركَ الجنس البشري HOMO SAPIENS وراءنا. وهذا قد يحدث، لكن لن يكون ذاك الجديدُ جنساً بشرياً، سنكون قد أصبحنا شيئاً آخر وأشخاصاً آخرين.

رودْيارد غْرِفِثْس:يا للدهشة. آلانْ دو بوتون، شكراً لمجيئك إلى تورنتو. محاججة مدهشة. نتطلّع إلى العرض الكامل هذا المساء على المنصة الرئيسية.

آلانْ دو بوتون: شكراً جزيلاً.

---

(65) مَبنيةٌ فيه، جزءٌ من تكوينه.

ماتْ رِدْلِي في حوار مع رودْيارد غْرِفِثْس

رودْيارد غْرِفِثْس: مرحباً بكم مجدداً في حوارات ما قبل المناظرة، لمناظرة مَنْك هذا المساء عن التقدم. أنا الآن بصحبة ماتْ رِدْلي، واحدٌ من المؤلفين الأفضل مبيعاً في العالم، وكاتبُ عمودٍ في مجلة التايمز اللندنية، وعضوٌ في مجلس اللوردات البريطاني. ماتْ، من الرائع أنْ تكون معنا.

ماتْ رِدْلِي: جميلٌ أنْ أكون هنا.

رودْيارد غْرِفِثْس: أعطِنا فكرةً عن بعض المحاججات الرئيسية التي ستقدمها هذا المساء. أعتقد ربما لديك جمهور مستجيب لأفكارك أنت وبنكر، استناداً الى الحماسة للتكنولوجيا والإحساس التفاؤلي في تورنتو في وقتنا الحالي.

ماتْ رِدْلِي: كندا بالتاكيد بلدٌ جيد للحديث عنه بشأن حدوث تقدم إيجابي. من الواضح انّها بلد غنيّ، صحيّ وسعيد. لكني ساتحدث عن انّ العالم بمجمله على هذا النحو، فقد رأينا على امتداد الخمسين عاماً الماضية

التقدمَ الأكثر استثنائية في معايير حياة الإنسان. فقط 10 بالمئة من الناس يعيشون في فقر مدقع الآن. وهذا لا يزال رقماً كبيراً، لكنّه تغيرٌ مدهش. بشكل عام، الناس أكثر غنى، صحة، سعادة، أكثر مهارة، أنظف، ونوعاً ما أكثر حرية، أكثر سلاماً، وأكثر مساواة حتى. الناس يغتنون في البلدان الفقيرة أسرع من الناس في البلدان الغنية، وهذا ما يأتي بالمساواة على المستوى العالمي. ليس كل شيء سائراً في الطريق الصحيح، لكن ما يسير في الاتجاه الخاطئ ينزع لأنْ يكون أقلّ أهمية مما يسير في الإتجاه الصحيح.

روذْيارد غْرِفِتْس: إذا ذهبنا إلى مرحلةٍ من التاريخ القديم واخترنا خمسين عاماً، لنقلْ، مرحلةَ الحصاد الأخضر الروماني، فسنرى زيادة في عمر الإنسان، أمراضاً وطواعين أقلّ، وربما احساساً بالتقدم. إذاً ما الفرق بين هذه المرحلة من التقدم التي نعيشها الآن والمراحل المماثلة من الماضي؟

ماتْ رِدْلِي: الاختلاف الرئيسي هو انّ هذه المرحلة من التقدم عالميةٌ. في الماضي يمكن رؤية الازدهار في مواضع محدَّدة، كالإمبراطورية الرومانية، أو الإمبراطورية الصينية أو الهند، لكنّه لم يكن أبداً منتشراً على نطاق العالم بمجمله. والاختلاف الثاني انّ لدينا التكنولوجيا الآن، مما يعني من المستبعَد جداً إعادة عقارب الساعة إلى الوراء في أكثر هذه المجالات. ولهذا سيكون من الصعب جداً جداً فقدان الإنترنيت، على سبيل المثال، أو التكنولوجيا التي مكنتنا من إطعام العالم والتخلص من الأمراض وما إلى ذلك، لقدرتنا على اعادة اختراعها في لمحِ البصر إذا احتجنا لذلك. وهذا اختلافٌ كبير. وعندما نفكر فيه، سنجد الابتكارَ هو ما يحرك التقدم فعلاً. وبسبب الإنترنيت يمكن للناس إغناء أفكارهم من خلال تبادلها أسرع من أيّ وقت

مضى، وهذا جديرٌ بالافضاءِ لحلولٍ لأيّ مشكلة قد تواجهنا. مع ذلك، لا ضمانات أن المستقبل سيكون أفضل من الماضي. أتفقُ تماماً مع ذلك. على المرء أنْ لا يقول ذلك أبداً. لأن انفجاراً عضوياً، أو ارتطام كويكبٍ، أو نوع معين من الحرب النووية، أو حتى انقطاعاً معينا في عقلانية الجنس البشري، يمكنه إخراج الأمورِ عن مسارها. لكنني أعتقد الاحتمالية الأكبر هي الحركة نحو الأفضل لا الأسوأ.

رودْيارد غْرِفِنْس: حدِّثْنا قليلاً عن التطور الاجتماعي للأفكار. أنت تعتقد انّ هذا أمرٌ هام فعلاً ويدفعنا للنظر إلى التقدم بطريقة جديدة ومختلفة عمّا فَعلنا في الماضي.

ماتْ رِدْلِي: أكثرُ الأخبارِ الجيدة تدريجية وأكثر الأخبار السيئة مفاجئة. وهذا سببُ كونِ الأشياء السيئة تهيمن على أخبار التلفزيون، والأشياء الجيدة تمضي دونما ذِكر. وسببُ أننا بعد قرنٍ من الزمان، هيمنتْ عليه الحروب العالمية والابادات الجماعية، انتهينا إلى وضع أَفضَلَ مما كنا عليه في السابق، لأنّ ما هو تدريجيّ يتحرك دون الإشارة اليه. التغيرُ التدريجي ظاهرةُ حركةٍ من الأدنى إلى الأعلى. إنّه أمر تطوريّ يحدث في المجتمع: فكرتان تلتقيان، تتزاوجان، وتنتجان طفلَ فكرةٍ تُحسّن حياة البشر، وهو ما ينتشر تدريجياً في المجتمع. خذْ على سبيل المثال ثورة الإنترنيت أو الهواتف الخلوية. لقد حدثتْ بطريقة اوتوماتيكية من دون ترسيمها ORDAIN من أيّ أحد[66]، ومع ذلك فهي تولّد ما يُعرفُ بالنظام التلقائي SPONTANEOUS ORDER. بتعبيرٍ

---

(66) ORDAIN: عيّن، نصّبَ، نسّقَ، أصدرَ أمراً بذلك. بمعنى انها ليست من اختراع شخص محدد كما هو الحال مع اختراع الكهرباء مثلاً.

آخر، تُولّدُ تناسقات بين الشكل والوظيفة، في المجتمع، لم تكن مقصودةً من أيّ أحد، لكنها ظهرتْ مع ذلك.

روديارد غْرِفِنْس: وأنت تعتقد، لأنّ هذا يحدث على المستوى العالمي، فهو، في نفس الوقت، جديدٌ كما يصبّ جدياً في صالح تسارع هذه القوى؟

ماتْ رِدْلِي: لدينا إمكاناتٌ أكبر لتحسين العالم اليوم عما كنا عليه قبل خمسين عاماً. لهذا أعتقد، بالاستناد إلى عدد العاملين في مجال العلم والتكنولوجيا، وعددِ التقنيات التي بحوزتهم، ومقدارِ المعرفة الذي راكموه، بوجود كل الأسباب للاعتقاد بقدرتنا الأكبر على حلّ المشاكل اليوم مقارنةً بما كنا عليه قبل خمسين عاماً، مع اننا كنا نقوم بعمل جيد آنذاك. وعليه، فهذا سبب واحدٌ مثير التفاؤل. وكما قال توماس بابنغتِن مكّولي[67] THOMAS BABINGTON MACUALY قبل وقت طويل، في عام 1830: على أساسِ أيّ مبدأ عندما لا يَكونُ ما ورائنا سوى التحسُّن، أنْ لا نتوقع في ما أمامنا سوى التدهور ؟

روديارد غْرِفِنْس: جيد جداً. أعتقد انّ نظيريكما هذه الأمسية سيحاولان رسمَ صورة أنكما تخلطان بين ظاهرة التقدم وظاهرة التغير والاختلاف. نعم، منذ عشرة أعوام لم نكن نستطيع التقاط سِلْفياتٍ لبعضنا البعض في هواتفنا الخلوية، ولكن ذلك لا يعني اننا تقدمنا عما كنا عليه قبل عقدٍ من الزمان. ما الفرقُ الدقيق الذي تراه بين التقدم والاختلاف؟

ماتْ رِدْلِي: على سبيل المثال، أقولُ من الصعب جداً أنْ يذهب شخصٌ

(67) مؤرخ وسياسي بريطاني (1800-1859).

لامراةٍ فقدتْ طفلها تواً جرّاء الملاريا في افريقيا ليقول لها انّ العالم، مع هذه النسبة من وفيات الاطفال، لن يتقدم. نسبة الوفيات جرّاء الملاريا انخفضت بنسبة 60 بالمئة في الخمسة عشر عاماً الأخيرة وحدها، وهو معدلٌ استثنائي تماماً للتغير. التغير حدثَ مع الزمن بسبب الناموسيات المشرّبة بمبيدات الحشرات وأشياء من هذه التقنيات البسيطة. لذا، فالأمر لا يتعلق بالضرورة بالهواتف الخلوية والحواسيب، انّه عبقرية قديمة للبشر لا غير. وعندما ننظرُ إلى ما يجري للناس الفقراء والتحسُّنات في أقدارهم على امتداد العالم، من الصعب وصفُ ما يجري بأنّه ليس تقدماً.

رودْيارد غْرِفِثْس: خطٌّ آخر للهجوم قد يكون عيشنا في عالمٍ متزايد الترابط باضطراد، والعواقب غير المقصودة الناجمة عن اخطاء افعالنا جعلتْ، كما تعرف، أسواقَ العقارات في جنوب فلوريدا تصبح فجأة عدوى أزمةٍ مالية عالمية، كتلك التي حدثت عام 2008. هل ترى في زيادة الترابط خَطَراً؟ بحيث كلما أمستْ علاقاتنا أكثر تعقيداً وتركيباً ازدادت احتمالات الانهيارات الكبرى؟

ماتْ رِدْلِي: حسناً، بطريقة ما، أعتقد عكس ذلك. الترابطية الأكبر في العالم تجعلنا فعليا أكثر مناعة ضد الانهيارات. دعني اعطيك مثالا على تجارة الغذاء العالمية. إذا عُدْنا إلى القرن السابع عشر فقد كان ممكنا موت 15 بالمئة من مجمل سكان فرنسا بسبب موسمي حصاد سيئين متعاقبين، بينما بالقرب منهم كانت هناك مواسم حصاد جيدة في بريطانيا والناس ظلوا على قيد الحياة. هذا لأنه كان هناك القليل جداً من تجارة الغذاء، فقد كان من المكلف جداً نقل الغذاء ولم يكن ممكنا اطعام المتضورين جوعاً. اما اليوم وبسبب

تجارة الغذاء العالمية، فان مجاعة عالمية لن تحدث أبداً بالمستوى الذي كانت تحدث فيه في الماضي. فموسم حصاد فاشل في منطقة معينة قد يؤدي إلى زيادة طفيفة في اسعار الطحين العالمية، لكن لن تحدث مواسم حصاد فاشلة في كل من استراليا وسيبيريا وكندا والارجنيتن جميعاً في الوقت نفسه. وقد رأينا المجاعة تتراجع بشكل لا شك فيه وبمعدل استثنائي جداً في العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة.

رودْيارد غْرِفِنْس: هل هناك حدثٌ أو فكرةٌ معينة بوسعها جعلك تتساءل عن رؤيتك؟

ماتْ رِدْلِي: هناك أشياء أقلقُ بشأنها، أمورٌ معينة تسير باتجاه خاطئ، وإذا مضتْ بهذا الاتجاه بقوة كبيرة يمكنها إخراجُ مسار التحسن والتقدم عن طريقه.

رودْيارد غْرِفِنْس: مثل ماذا؟

ماتْ رِدْلِي: الخرافة. هناك أعدادٌ أكبر واكبر من الناس في العالم ينشأون مع نُسخٍ أصولية[68] FUNDAMENTALIST من الدِّين. لا اتحدثُ هنا عن أيّ دينٍ محدَّد، أنا اتحدثُ عن كل الأديان. لكن الناس الأكثر أصولية في الأديان المختلفة ينجبون أطفالاً أكثر، بالمعنى الحرفي. والآن، إذا اتّبعَ الاطفالُ آباءهم، وهو لحسن الحظ ما لا يحدث غالباً، فهذا يمكن أنْ يؤدي إلى زيادة كبيرة في عدد الناس المهيئين ليكونوا متطرفين وأصوليين في وجهات نظرهم. هذه لم تكن مشكلةً في الأيام القديمة لأن الجميع حاول انجاب أكثر ما يمكن

(68) الأصوليّة هنا بمعنى التطرّف بزعمِ العودة إلى الأصول.

من الأطفال، ولكانوا سيُغمرون بأطفالِ العقلاء. لكني قلقٌ قليلاً من كون الناس غير العقلاء ينجبون أطفالاً أكثر من العقلاء، إذا جاز لي هذا التعبير، من دون الاساءة لأحد.

روذْيارد غْرِفِثْس: أنت لم تسئْ لأحد. ماتْ رِدْلي، شكراً لمجيئك إلى تورنتو. من الرائع وجودك معنا.

ماتْ رِدْلِي: شكراً لك، روذْيارد.

ستيفن بنكر في حوار مع رودْيارد غْرِفِثْس

رودْيارد غْرِفِثْس: مرحبا بكم مجدداً في حوارات ما قبل المناظرات، لمناظرة مَنْك عن التقدم. سنتناظر حول «هل أَفضَل أيام البشر قادمة؟». أنا مسرور جداً أنْ يكون معي ستيفن بنكر، العالمُ الأميركي المعروف، وعالمُ النفس، وواحدٌ من المؤلفين الأكثر مبيعاً. ستيفن، من الرائع وجودك معنا هنا في تورنتو.

ستيفن بنكر: شكراً لك.

رودْيارد غْرِفِثْس: هل لنا بفكرة عن الكيفية التي ستقاربُ بها مناظرة هذا المساء. ما المحاججة الجوهرية التي تريد ايصالها إلى أكثر من 3000 شخص ممن سيحضرون هنا في قاعة روي تومسن؟

ستيفن بنكر: مسألةُ ما إذا كانت أَفضَلُ أيام البشر قادمةً لا ينبغي أنْ تكون مسألة رأي، موقف، أو مزاج، وإنما مسألة وقائع. وإذا نظرنا إلى البيانات، فكلّ المؤشرات على تحسن احوال البشر في تصاعد. نحن نعيش

حياة أطول، نمرضُ أقلّ في الأغلب، نحن أغنى، لدينا احتمالات أكبر للعيش في ديمقراطيات، لدينا احتمالات اكبر للسلام، نحن أذكى، وأَفضَل تعليماً. وعندما أقول «نحن» لا أعني فقط البشر في الأماكن المميزة مثل كندا، بل على مستوى العالم، وهذا ما تقوله المعطيات والبيانات. زِدْ على ذلك، من المؤكد تقريباً استمرار العمليات التي فعّلت هذه الاتجاهات. وهي تتكون من الابتكارات التجديدية والتكنولوجيا والأفكار، فهي ليست عرضةً للانهيارات المفاجئة كأسواق البورصة، ولهذا من غير المحتمل أنْ نستيقظ غدا على عالمٍ نجدُ فيه العمليات الجراحية من دون تخدير أو نرى الأطفال أسوأ تعليما. كل هذه قوى إتجاهية تراكمية، وليس ثمة من سبب لاحتمال تبخّرها فجأة.

روديارد غْرِفِثْس: أعطِنا فكرة عن السبب الذي تراه يدفع هذه القوى الإتجاهية. ماتْ رِدْلي، شريككُ هذا المساء، من القائلين بالتطوّر الاجتماعي، والذي يعتقده العاملَ الرئيسي لفهم سبب انّ التقدم، بوجه عام، يتسارع. ما هي النقاط الدقيقة في هذه المنطقة من المحاججة؟

ستيفن بنكر: أنا متعاطف مع محاججة ماتْ رِدْلي. أعتقدُ أنّنا كبشرٍ جنسٌ ذكي بسبب اللغة. فبفضل الكلمة المكتوبة، نستطيع مراكمةَ ثمار محاولاتنا وأخطائها، ومضاتِ العبقرية، الحوادث المحظوظة، وتسجيل ما ينجح، واستبعاد ما يفشل، ومعرفة أنّه سيكون ثمة الكثير من النجاحات والاخفاقات. ولكن، بوجه عام، إذا وجه المرءُ تفكيره إلى حلّ مشاكل معينة مُتذكراً الحلول القادرة على النجاح بشكل عام، فالأمور ستغدو أَفضَل.

روديارد غْرِفِثْس: هل تعتقد انّ ترابطية البشر هي نقطةُ هشاشة؟ هل

التركيبية[69] complexity التكنولوجية والسوسيولوجية والاقتصادية هي كعبُ أخيل[70] في طرائق وميكانزمات التقدم التي تراها تحدث الآن؟

ستيفن بنكر: من طبيعة العقلانية قدرتُها دائماً على الخطْوِ للوراء لتلاحظَ حدودها الخاصة وتجعل من ذلك هدفاً لها، باعتباره مشكلة واجبة الحلّ. وهكذا فالتركيبية في انظمتنا تضعُ بدورها لنفسها هدفاً حول كيفية جعل هذه الأنظمة متينة ازاء الهشاشة التي يمكن أنْ تمسي فوضى. أي، كيف يمكننا التبسيط حيثما نستطيع وتطوير الذكاء الاصطناعي للتعامل مع بعض الحالات المركّبة هذه؟ وهكذا فحقيقة وجود تركيبيةٍ معينة كمشكلة يعني أنّ أفضل العقول ستجعل من ذلك هدفاً للتعامل معه.

روذْيارد غْرفِنْس: كثيراً ما يفكّرُ الناس بالأزمة المالية[71] كمثالٍ حديث على التركيبية. يفكرون بنسقٍ كان يعتبر رصيناً وأُصيبَ فجاة نوعاً ما بهذه الحالة غير المتوقعة والمهزوزة على حافة الأنهيار. وبالتالي من المفهوم شعور الكثير من الناس بنوع من تراجع الايمان بالتقدم والدرجة التي يمكن فيها للأنظمة المركبة، مع مرور الزمان، توليد نتائج إيجابية. كيف تردّ على هذا؟

ستيفن بنكر: الأزمة المالية العالمية سببتْ توقف نموٍّ الناتج المحلي الإجمالي لسنة واحدة فقط، وبعدها استمرّ في التصاعد. وبالكاد تم الاحساس بذلك

(69) أي أنّ الحالة المركّبة من عدة عناصر مترابطة تغدو بالتالي أكثر هشاشة.

(70) "كعبُ أخيل" حسب إلياذة هوميروس هي نقطة الضعف لدى البطل الأسطوري أخيل، حيث يمكن لمن يستهدفها النيل منه.

(71) المقصود الأزمة العالمية المالية الكبرى التي حدثت في 2007-2008 والتي تعتبر أكبر أزمة اقتصادية عالمية منذ الأزمة الكبرى لعام 1929، والتي كانت بدأت أيضاً بانهيار أسعار البورصة في الولايات المتحدة.

في آسيا وأفريقيا. فكرةُ انّ الأشياء تتحسن لا تعني انها ستتحسن في كل يوم بتصاعد ثابت، وأن الأربعاء سيكون أفضل من الثلاثاء والثلاثاء أفضل من الإثنين. المنحنى تصاعديّ متعرج في الواقع، هناك تراجعات، وليس هناك قانون سحري يصعدُ بنا دائماً إلى الأعلى. لكن، كمعدلٍ، المسارُ البعيد المدى واضح بما يكفي، حتى لو كانت هناك تأجيلات موضعية.

روديارد غْرِفِنْس: إذاً أنت تقول، بمعنى معين، أنْ لا حاجة للكوابيس عن مواجهة انهيارٍ في مستقبلنا على طريقة «المايا»[72]؟ وانّ اختفاء الحضارات البشرية أمسى من الماضي؟

ستيفن بنكر: كلُّ شيء محتمل، والأحمقُ فقط من يتنبأ بخمسمئة أو ألف أو ألفي عام من الزمان. ولكن، لا. لا أعتقد انّ ذلك أمراً سنراه في مدى حياتنا المنظور، ولا أعتقد هناك أيّ سبب للاعتقاد بإمكانه تحديداً.

روديارد غْرِفِنْس: لم ذاك؟ هل لأنّك ترى الوفرةَ تقترن بالتركيبية؟ هل هذا الابتكار للأفكار وحلّ المشاكل الذي ذكرتَه يخلق منظومة أكثر متانةً من تلك التي عملتْ الحضارات الأخرى فيها؟

ستيفن بنكر: نعم، أعتقد ثمة الكثير من الاختلافات بين الحضارة الغربية عام 2015 وحضارة المايا، وذلك لأنّ لدينا صرحاً كاملاً من العلم والتكنولوجيا، ووسائل لمراكمة معرفتنا التي كسبناها بمشقة. لقد خلقنا بُنيةً

---

(72) تُعتبر حضارة "المايا" اكبر حضارة في النصف الغربي من العالم قبل اكتشاف أميركا، وكانت نشأتْ في الألف الثاني قبل الميلاد، وتطورت كثيراً، ثم انهارت بسرعة كبيرة مفاجئة أو شبه مفاجئة في القرن العاشر الميلادي.

تحتيةً ضخمة من المعلومات، ومن النظام المالي، والتعليم، ونظام الحكم، ومؤسسات أخرى. لهذا أعتقد انها مقارنة سيئة: حضارة المايا كانت مختلفة كثيراً عن حضارتنا.

روديارد غْرِفِثْس: صحيح. لديّ سؤالان أخيران عن المنظور. الناس غير المتحمسين على هذا النحو لفكرة التقدم سيقولون انّ زاوية نظرك تستند إلى صورة عن التأريخ. ورغم أنّه من الصحيح اننا في الغرب الآن نستطيع الإشارة لمسارٍ للتقدم يعود إلى الثورة الصناعية، ولكن إذا عاش المرء في العصور المظلمة ونظر إلى ألفٍ من السنين اعتباراً من سقوط روما إلى عصر النهضة، فإنّها لن تبدو مرحلةً للتقدم، بسبب معدلات العنف، ومدى عمر الإنسان، وهلاكات الأمراض. كيف ستردّ على هذا؟ هل تشعر انّ مقدمات التقدم أكبر من مجرد الحقبة الصناعية؟

ستيفن بنكر: لقد حدث تغيرٌ كبير منذ عصر الثورة الصناعية والتنوير. فقد كانت النقطة التي بدأ فيها الابتكار التجديدي حقاً، أو على الأقل، تسارعَ، حيث طوّرنا المنهج العلمي، الذي لم يكن لدى البشر عند سقوط الإمبراطورية الرومانية. هذا يضعنا في مسارٍ من الابتكار التكنولوجي غير المحدود. لهذا فالأمر متعلقٌ فعلاً بالقرنين الماضيين من الزمان عندما حدثت الثورة الصناعية والتنوير. لا اعتقد انّ المقارنات مع الحضارات اللاتكنولوجية أو السابقة للتكنولوجيا ممكنة مع العالم الذي نعيش فيه الآن.

روديارد غْرِفِثْس: مثير للاهتمام. وأخيراً، أريدُ التحدث عن التغير المناخي، فهو موضوع يشغل ذهن الجميع. كيف تضع التغيرَ المناخي في محاججتك؟ أو هل تشعر انّه تهديد عالمي سنتكيف معه ونجد طريقةً

لتخطيه؟ وانّه ليس تهديداً وجودياً كما يعتقد الكثير من الناس بقوة؟

ستيفن بنكر: سيكون تهديداً وجودياً إذا لم نفعل شيئاً بشأنه، لكني لا أرى سبباً للاعتقاد أنّنا لن نفعل. خبراء الاقتصاد أشاروا الى الحل: يتوجب وجود تسعيرات على توليد الكربون، بحيث يتحفز الناس للتجديد الابتكاري، والمحافظة، والتحول إلى مصادر طاقة منخفضة الكربون، ويتوجب وجود بحث وتطوير في التكنولوجيات التحويلية، مثل ضبط الكربون، وتكنولوجيا البطاريات، وجيل جديد من الطاقة النووية. إذا جمعنا كل هذه الوسائل، سيبقى التغير المناخي مع ذلك تحديا مرعبا – ربما هو اعظم تحدّ واجهته البشرية – لكنه ليس مشكلة متعذرة الحل، وليست مشكلة يُحتمل أنْ يتجاهلها البشر بصورة انتحارية.

رودْيارد غْرِفِثْس: إنها ليست أزمة وجود.

ستيفن بنكر: ستكون كذلك إذا لم نفعل شيئا بشأنها، لكني لا أرى سبباً للاعتقاد بأننا لن نفعل شيئاً بشأنها.

رودْيارد غْرِفِثْس: صحيح. التحفيز سيقوم بشيء ما بهذا الخصوص.

ستيفن بنكر: نعم.

رودْيارد غْرِفِثْس: ستيفن بنكر، شكرا جزيلاً لك لقدومك إلى تورنتو لأجل هذه المناظرة. لقد كنتَ مشاركاً عالمياً هاماً فعلاً في الحوار، ومن الرائع وجودك هنا معنا.

ستيفن بنكر: شكراً لكم لاستضافتي.

تعقيب ما بعد المناظرة

تعقيب ما بعد المناظرة
(علي واين ALI WYNE)

في نواةِ هذه المناظرة خلافٌ حول طبيعة التقدم وصحّة ما يتم استنتاجه. بإيجاز، ستيفن بنكر وماتْ رِدْلي يركزان مبدئياً على الاتجاهات الإيجابية في مرحلة ما بعد الحرب[73] المرتفعة المستوى في مجالات السلام، الصحة، والإزدهار. ويريان، استناداً إلى التجديدات الابتكارية السريعة والعميقة في "الأشياء"، "القواعد"، و"الأدوات"، وجود سببٍ جيد للاعتقاد بتأييد هذه النزعات واستمرار هذا التاييد. مالكولم غلادويل يردّ بأننا لا نستطيع تقييم هذه الظواهر بطريقة أو أخرى ما لم نعرف التوجهات والأحداث الأخرى التي سبّبتها والتي ستولّدها. كيف يمكن للمرء تدبُّرَ تقييمٍ محضٍ كهذا؟ غلادويل أيضاً متشكك بعمقٍ بأية محاولات لتصوُّر المستقبل. أما آلانْ دو بوتون فيحدّد التقدم – بصورة مثيرة للاهتمام وإنْ كانت غامضة – باعتباره زيادة في الحكمة. فهو يتبنى نظرةً معتمة أداتية للإنسانية وآفاقها،

(73) المقصود الحرب العالمية الثانية.

محاججاً بأن التشاؤمية بشأن المستقبل ضمانٌ فعّال للاستعداد والتحسُّب[74].

من المحتمل انّ بنكر فعلَ أكثر من أيّ من معاصريه لتحفيز مناظرةٍ عن مسار العنف، في كل تجلياته. في كتابه الرئيسي عام 2011 (الملائكةُ الأَفضَلُ في طبيعتنا)، يَخلُصُ إلى انّ "العنف انخفض على امتداد زمنيّ طويل، ونحن ربما نعيش الحقبة الأكثر سلاماً في وجود جنسنا البشري". وهو يقرّ بازدياد عدد الحروب الأهلية في الأعوام الأخيرة من حوالي أربع حروب في 2007 إلى أحد عشر في 2014. كما يشير أيضاً إلى انّ الصراع في سوريا سبب ازديادا طفيفا في المعدّل العالمي لوفيات الحروب من أقلّ قليلاً من 0.5 بين عامي 2000 و2011، إلى 1.4 في السنة الأخيرة. ولكن هذه الأرقام تمثّل طفرةً كبيرة مقارنة بالأرقام الأسبق. فقد كانت هناك 26 حرباً أهلية عام 1992، وكان المعدّل العالمي لوفيات الحروب بحدود 5 في أواسط الثمانينات[75]. أما الحروب بين الدول والقتل الجماعي للمدنيين العُزَّل، إبّان ذلك، فقد انخفض بشكل كبير جداً على امتداد العقود السبعة الأخيرة. إذا وضعنا جانباً الخلافات المنهجية والأسئلة المتعلقة بها إذا كانت نزعات فترة ما بعد الحرب، التي يوثّقها بنكر، هي نزعات مراوغة، فسيبدو مما يتطلّب بهلوانياتٍ فكرية بارعة إنكارُ انّ البشرية، بوجه عام، تغدو أقلّ عنفاً.

رِدْلي، الذي يصفُ نفسَه بأنّه "تفاؤليّ عقلانيّ" يشير الى "اللاتناظر

(74) مارك مدلي، مناظرة منك: (هل أَفضَل ايام البشر قادمة؟) صحيفة (العالم والبريد)، 6 نوفمبر، 2015: (هـ.أ)

(75) ستيفن بنكر "الآن إلى الأخبار الجيدة: الأشياء فعلًا تغدو أَفضَل" صحيفة (الغارديان)، 11 سبتمبر 2015: (هـ.أ)

الغريب في الذهن البشري. ذلك أننا منحازون جداً في ذكرياتنا عن الماضي ومنحازون جداً في تقييم المستقبل". الحنين إلى ماضٍ مزدهر، الذي يتم التعبير عنه كثيراً، له أساس ملموس ضعيف في الواقع. فرغم كل شيء، اعتادتْ الحروبُ بين الدول أنْ تكون واقعاً في الحياة، وظلت احتمالات حربٍ نووية كارثية تحوم حول العالم على امتداد النصف الثاني من القرن العشرين (في الواقع، كانت هناك عدة مناسبات إبّان فترة الحرب الباردة عندما أوصلتْ الحوادثُ وسوء التفاهمات هذا الاحتمال الكابوسي إلى إمكان الحدوث). وليس من الواضح أيضاً لماذا ننظر إلى الوراء بشغف، حيث كانت الأعمار أقصر، ومعدلات الأمية أعلى، وكذلك الفقر، سوء التغذية، وموت الأطفال. وسائل الإعلام اليوم تلعب دوراً مركزيا في حَرْفِ ادراكاتنا. رِدْلي يشير إلى انّ "عنوانا رئيسياً...غداً، بأنّ وفيات المواليد على المستوى العالم انخفضت بنسبة (0001.) بالمئة يوم الأمس، ليس فكرة جيدة في متطلبات الأخبار، كما يمكن الافتراض، بينما عنوان رئيسي بأن طائرة مسافرين تحطمت بالأمس أكثر بروزاً بكثير"[76].

كما اشرتُ سابقاً، كلٌّ من بنكر ورِدْلي يركّزان على الصورة الكبيرة. الأولُ يشير إلى انّ "البيانات الكمّية كلها تؤشر لتحسن أحوال البشرية باتجاه متماسك، قوي، وايجابي جداً، في كل المجالات من الصحة إلى الإزدهار إلى السلام إلى الديمقراطية". أما الثاني، وعلى نحو مشابه، فيشير إلى "التحسّنات الهائلة في معايير حياة الإنسان على امتداد الخمسين سنة الماضية بوجه

(76) مارك مدلي: مناظرة مَنْك. (هـ.أ)

الخصوص"[77]. غلادويل يرفض هذه النقاط الرئيسية، محاججاً انّ المرء لا يمكنه تصنيفُ ظاهرةٍ ما باعتبارها نجاحاً ما لم يستطع تبيان أنّ فوائدها بعيدة المدى ستتخطى ما ستولده من مخاطر بعيدة المدى، والضرر الذي يمكن أنْ تسببه. من المتعذّر بالطبع تقديم تقييم كهذا، وأَفضَلُ الممكن هو تقديم نطاقٍ من التخمينات. على سبيل المثال، بينما كان الانخفاض الكبير جداً في معدل الفقر في الصين والهند على امتداد الأربعين عاماً الماضية نتيجةً إيجابيةً، فإنّ التصنيع الذي سمح بحدوث ذلك قد سمّم هواء وتربة وماء البلدين مع عواقب ستتكشف عبْرَ الأجيال.

أُسارعُ للإشارة هنا انّ غلادويل ليس تشاؤمياً، في الواقع، رغم ما يطرحه في هذه المناظرة، إنّه "لاأدري" AGNOSTIC بشأن السؤال المركزي. يُمكن تسميته واقعياً مردوعاً[78] CHASTENED. يقول غلادويل انّه تواضعَ بسبب فشل تنبؤاته هو زملائه. وانّ حذره مُبرَّر، فوجود نزعةٍ معينة لا يؤكد استمراريتها. والتقدم، مهما كان محدّداً، ليس ضماناً، بل عَرَضياَ تماماً، على الأقل بمقدار التعلق بتدخلات البشر والظروف غير المنظورة.

ما الذي ستكُونُه عواقبُ نظام عالميّ بمواجهة مسلحة بين الولايات المتحدة والصين أو فعلِ إرهاب نووي في إحدى عواصم العالم الكبرى؟ أيةُ أصنافٍ جديدة من التهديدات ستظهر من التقدّمات التي نقوم بها في البايولوجيا ومباحث الروبوتات والفضاء السيبرنيطيقي[79]؟ الأمم المتحدة

---

(77) المصدر السابق. (هـ.أ)

(78) CHASTENED: مردوع، مُعاقَب، مؤدَّب.

(79) السيبرنيطيقا: علم الاتصال ونظرية السيطرة خصوصا في مجال الدراسة المقارنة لانظمة السيطرة الاوتماتيكية

تتوقع ازدياد عدد سكان العالم بحدود 2.4 عام 2050[80]، ولكن على أساس مقياس التدمير البيئي الكبير الذي تسبّبنا به أصلاً في كوكبنا، وإيقاعه المتسارع الجاري، أيّ تأثير سيكون لهذه الزيادة على غاباتنا ومحيطاتنا، فضلاً عن الأراضي الصالحة للزراعة التي يُطعم حاصلُها جماعاتٍ كبيرة من العالم النامي؟

لعلّ المداخلة الأكثر اثارة للمتعة والاهتمام تأتي من بوتون. فهو يسمّي الكائن البشري "كائناً خطّاءً بعمق" وعليه أنْ يصبح "أقلّ عنفاً، أكثر تسامحاً، وأكثر قدرة على التعلم" إذا كان للعالم امتلاك أيّ أمل حقيقي[81]. هناك للأسف أدلة كثيرة تؤيد محاججته: طرائقُ التعذيب التي استخدمها البشر، الملايين المجهولة من البشر التي انمحقتْ في الحروب، وما أدّى اليه ذلك من خسائر في المصادر التي تسمح ببقائهم. والفكرة المغرورة المضلِّلة لكلّ جيل هي اعتبار نفسه أكثر استنارة وإنسانية من أسلافه. لكني غير مستعد للوصول إلى درجة الاتهام التي يصل اليها بوتون، على الأقل لسببين. الأول: إذا كان لنا التخلي عن الاعتقاد بامكانية الخلاص - لأنفسنا ولكل العالم المطلوب منا حمايته - كيف يمكن لنا مواجهة تحدياته؟ والثاني: بينما سببَ البشرُ دماراً هائلاً، فقد اطعموا أيضاً ملياراتٍ من الناس، عالجوا أمراضاً فضيعة، وأصلحوا مظالمَ هائلة. من المجازفة التحدّثُ بصورة مبكرة. ينبغي علينا أنْ نخلُص - أو على الاقل أنْ نأمل - بأنّ حكمة عقولنا وعاطفة قلوبنا

---

(80) سام جونز ومارك أندرسون، "تعداد سكان العالم يمضي للوصول إلى 9.7 مليار إنسان بحدود عام 2050 رغم التراجع في الانجاب". صحيفة الغارديان، 29 تموز، 2015: (هـ.أ)

(81) مارك مدلي: مناظرة مَنْك. (هـ.أ)

بحجمِ ما نحن مدعوون اليه.

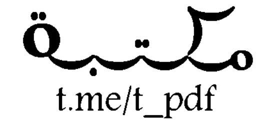
(علي واين: زميل غير مقيم في (مجلس الاطلسي) وزميل في (مشروع ترومان للأمن الوطني). وهو مؤلف مشارك في كتاب LEE KUAN) YEW: THE GRAND MASTER'S INSIGHTS ON CHINA THE UNITED STATES AND THE WORLD)[82].

(82) الكتُبُ أو المصادر التي يمكن صياغة عنوانها بأكثر من صيغة تركناها على عنوانها بالإنكليزية.

شكر وإمتنان

مناظرات مَنْك نتاجٌ للنشاط العام لمجموعة مميزة ذات ذهنيةٍ مدنية من المنظمات والأفراد. أولاً وقبل كل شيء، ما كان لهذه المناظرات أنْ تَكون ممكنةً من دون رؤية وقيادة مؤسسة (آوريا) AUREA. المؤسسة التي تأسست عام 2006، والتي تساعد الأفراد والمعاهد الكندية المنخرطة في دراسة وتطوير السياسة العامة. والمناظرات هي المبادرة الرئيسية للمؤسسة، وهي نموذج لنوع من حورات السياسة العامة المستمرة التي يمكن للكنديين تأمينها عالمياً. منذ إطلاقِ المناظرات في 2008، أمّنتِ المؤسسةُ جميع التكاليف لكل مناظرة نصف سنوية. كما استفادتْ المناظرات أيضاً من مساهمة واستشارة أعضاء مجلس المؤسسة، بمن في ذلك (مارك كاميرون)، (أندرو كوين)، (ديفون كروس)، (ألان غوتليب)، (مارغريت مكميلان) (أنتوني مَنْك)، (روبرت بريتشارد)، و(جانِس شتاين). منظمو المناظرة يودّون شكر (جين مكّوني) لمساهمتها في التحرير الأولي لهذا الكتاب. منذ بدايتها، سعتْ مناظرات مَنْك لإيصال المناقشات التي تجري في كل مناظرة، إلى الجمهور المحلي والعالمي.

وبهذا الشأن استفادت المناظرات بشكل كبير جداً من الشراكة مع الصحيفة الكندية المحلية (العالم والبريد) GLOBE AND MAIL، واستشارة رئيس تحريرها (ديفد والمسلي). ومن خلال نشر هذا الكتاب الرائع، فإنّ دار نشر (أنانسي) تساعد على وصول المناظرات لأناس جدد في كندا وحول العالم. يودّ منظمو المناظرات شكر رئيس دار انانسي (سكوت غرفن) والرئيس والناشر (ساره مكلاكلن) لحماسهما لمشروع هذا الكتاب والرؤى حول كيفية ترجمة المناظرة المكتوبة إلى تبادلٍ فكري قوي مكتوب.



عن المتناظِرين

ستيفن بنكر: عالمُ ادراكٍ ريادّي كتب عدداً من الكتب الأَفضَل مبيعاً، بما في ذلك (حسُّ الاسلوب: دليل الشخص المفكّر إلى الكتابة في القرن الحادي والعشرين)، بالإضافة إلى دراسة بارزة جداً عن التقدم البشري، (الملائكةُ الأَفضَلُ في طبيعتنا)، الذي ربح جائزة صحيفة نيويورك تايمز للكتاب البارز في العام وتم اختياره لنادي كتاب (مارك زكربيرغ). كتاباه (THE BLANK SLATE) و(كيف يعمل الذهن؟) كانا في القوائم النهائية لجائزة بوليتزر. وهو استاذ (JOHNSTONE FAMILY) للسايكولوجيا في جامعة هارفرد وسُمّي من مجلة التايمز واحداً من الاشخاص المئة الأكثر تأثيراً في العالم.

ماتْ رِدْلي: وصلتْ كُتبُ ماتْ رِدْلي إلى القوائم النهائية لتسعة جوائز أدبية رئيسية، وربحت عدة جوائز، وتُرجمتْ إلى ثلاثين لغة، وبيعَ منها أكثر من مليون نسخة. حالياً يكتب في عمود (الذهن والمادة) في صحيفة وولستريت ويساهم بانتظام في صحيفة التايمز. تم تعيينه في بيت اللوردات عام 2013 وهو زميل (الجماعة المَلَكية للأدب) و(أكاديمية العلوم الطبية)

وعضو فخريّ في (الأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم).

آلانْ دو بوتون: يكتب بوتون كتباً تتضمن مقالاتٍ وُصفتْ بأنها "فلسفة الحياة اليومية". كتبَ عن الحُب، السفر، العمارة، والأدب. كتبه كانت الأفضل مبيعاً في ثلاثين بلداً. وقد أنشأ وساعد في اطلاق مدرسة مقرّها في لندن باسم (مدرسة الحياة)، تعملُ على رؤية جديدة للتعليم. آخرُ كتبه هو (الأخبار: دليل المستخدم).

مالكولم غلادويل: صحفيّ كندي ومؤلف خمسة كتب أفضل مبيعاً حسب (نيويورك تايمز)، وهي: (THE TIPPING POINT)، (BLINK)، (WHAT THE DOG SAW)، وآخر كتبه هو (DAVID AND GOLIATH: UNDERDOGS MISFITS AND THE ART OF BATTLING GIANTS). سُمّي واحداً من المئة شخص الأكثر تأثيراً في العالم من مجلة التايم وواحداً من أبرز مئة مفكر عالميّ حسب مجلة السياسة الخارجية. وهو كاتب في فريق (نيويوركر) منذ عام 1996. نال جائزة المجلة الوطنية، وتم تكريمه من (جمعية علم النفس الأميركية) و(جمعية علم الإجتماع الأميركية).

عن المحرِّر

رودْيارد غْرِفِثْس: رئيس مناظرات مَنْك ورئيس مؤسسة آوريا الخيرية. في عام 2006 سُمّي واحداً من (أعلى أربعين تحت الأربعين)[83] من صحيفة (العالم والبريد). وهو مؤلف ثلاثين كتاباً عن التاريخ، السياسة، والشؤون الدولية، بما في ذلك كتاب (من نحنُ: بيانُ مواطن)، الذي كان الأفضل مبيعاً عام 2009 حسب (العالم والبريد) ووصل القوائم النهائية لجائزة (SHAUGHNESSY COHEN) للكتابة السياسية. يعيش في تورنتو مع زوجته وطفليه.

عن مناظرات منك

مناظرت مَنْك هي الحدث الأوليّ في كندا لشؤون السياسة العامة. وتُقدّم المناظراتُ، التي تُعقد بشكل نصف سنوي، مفكرين بارزين مع تجمّعٍ عالميّ لمناقشة المواضيع الرئيسية في السياسة العامة مما يواجهه العالم وكندا. كل الفعاليات تُقام في تورنتو أمام الجمهور، ومجرياتُ الفعاليات تتم تغطيتها من وسائل الإعلام المحلية والعالمية. قائمة المشاركين في مناظرات مَنْك الأحدث تتضمن الأسماء التالية:

Anne Applebaum Robert Bell Tony Blair John Bolton Ian Bremmer Stephen F. Cohen Daniel Cohn-Bendit Paul

(83) أيْ أعلى أربعين شخصاً ممن أعمارهم تحت الأربعين.

Collier Howard Dean Hernando de Soto Alan Dershowitz Maureen Dowd Gareth Evans Mia Farrow Niall Ferguson William Frist Newt Gingrich David Gratzer Glenn Greenwald Michael Hayden Rick Hillier Christopher Hitchens Richard Holbrooke Josef Joffe Robert Kagan Garry Kasparov Henry Kissinger Charles Krauthammer Paul Krugman Arthur B. Laffer Lord Nigel Lawson Stephen Lewis David Daokui Li Bjørn Lomborg Lord Peter Mandelson Elizabeth May George Monbiot Caitlin Moran Dambisa Moyo Vali Nasr Alexis Ohanian Camille Paglia George Papandreou Samantha Power Vladimir Pozner David Rosenberg Hanna Rosin Anne-Marie Slaughter Bret Stephens Lawrence Summers Amos Yadlin and Fareed Zakaria.

مناظرات مَنْك هي مشروع مؤسسة (آوريا)، وهي مؤسسة خيرية تأسست بالمبادرة الخيرية لبيتر ومالين مَنْك لتطوير البحث والمناقشة في مجال السياسة العامة. لمزيد من المعلومات زيارة الرابط التالي:

www.munkdebates.com

عن الحوارات

سُجلتْ حوارات رودْيارد غِرِفِتْس مع مالكولم غلادويل، آلانْ دو بوتون، ماتْ رِدْلي، وستيفن بنكر، في السادس من نوفمبر 2015. ومؤسسة

(آوريا) ممتنةٌ للسماح لها بإعادة طباعة مقتطفات من المناظرات وكما يلي:

(p. 63) «Malcolm Gladwell in Conversation» by Rudyard Griffiths. Copyright© 2016 Aurea Foundation. Transcribed by Transcript Divas.

(p. 69) «Alain de Botton in Conversation» by Rudyard Griffiths. Copyright© 2016 Aurea Foundation. Transcribed by Transcript Divas.

(p. 77) «Matt Ridley in Conversation» by Rudyard Griffiths. Copyright© 2016 Aurea Foundation. Transcribed by Transcript Divas.

(p. 85) «Steven Pinker in Conversation» by Rudyard Griffiths. Copyright © 2016 Aurea Foundation. Transcribed by Transcript Divas.

عن تعقيب ما بعد المناظرة

تعقيب ما بعد المناظرة من (علي واين) تمت كتابته بعد المناظرات في السادس من نوفمبر 2015. وتودّ مؤسسة (آوريا) شكر رودْيارد غْرِفِثْس لمساعدته في التكليف بكتابة مقالة ما بعد المناظرة.

(p. 95) "Post-Debate Commentary" by Ali Wyne. Copyright© 2015 Aurea Foundation.

إصدارات الباحث والمترجم نصير فليح

في البحث الفلسفي:

ـ ميراث الغائب: قراءة في الحوار الصحفي الأخير مع جاك دريدا وأبرز الفلسفات المعاصرة المناهضة للتفكيكية، منشورات نينوى، دمشق، 2018.

ـ ألان باديو (سلسلة ما بعد دريدا: فلاسفة وفلسفات معاصرة من القرن الحادي والعشرين) دار عدنان، بغداد، 2019.

ـ سلافوي جيجك (سلسلة ما بعد دريدا: فلاسفة وفلسفات معاصرة من القرن الحادي والعشرين) دار عدنان، بغداد، 2019.

في الترجمة الفلسفية:

ـ الفلسفات الاسيوية، تأليف جون كولر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013 (ترجمة وتقديم).

- العالم كتصور، الكتاب الأول من (العالم كإرادة وتصور) للفيلسوف الألماني آرتور شوبنهاور، دار نون، عمّان ، 2015 (ترجمة وتقديم).

ـ كيركجارد: فيلسوف الإيمان في زمن العقل، تاليف باترك غاردنر، دار نينوى، دمشق، 2018 (ترجمة وتقديم).

في ترجمة الشعر:

ـ لويس بورخس، 60 قصيدة، اختارها وترجمها نصير فليح، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012.

ـ أميلي ديكنسون: مختارات شعرية وقراءات نقدية، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012.

ـ أيام الشاطئ: مختارات من الشعر الأميركي الجديد 2010-1980، الدار

العربية للعلوم ناشرون، 2012.

- الأكمة والحجر: مختارات من شعر روبرت فروست، لانغستن هيوز، والاس ستيفنز، دار المتوسط، ايطاليا، 2016.

في كتابة الشعر:

- دائرة المزولة، بغداد 1998.

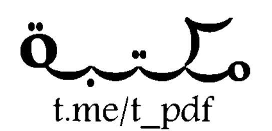
- إشارت مقترَحة، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، 2007.

- الوجود هنا، بغداد، 2008.

- أماكنّهار: مكاشفات عن جمال العالم وكأبته، بغداد، 2009.

- نصير فليح: الأعمال الشعرية 2009-1996، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010.

- Dayplaces: Showdowns on the Beauty of the World and its Depression (مجموعة (أماكنّهار) بالانكليزية، ترجمة كرستوفر ميرل، جون ديفز، تقديم ناتالي هاندال، منشورات تيبوتباخ، كالفورنيا، 2017).



الفهرس

هل أفضل أيام البشر قادمة؟

السؤال الذي تتناوله المناظرة في هذا الكتاب سؤالٌ كبير جداً بالطبع. وككلّ الأسئلة الكبيرة جداً، فإنه يمدّ تفرعات كبيرة جداً في مختلف المجالات الفكرية والروحية والمادية. فالتساؤل عن المستقبل، وما إذا كان سيأتي بأيام أَفْضَل للبشر أم لا، يرتبط بالعلم والدين والتنوير والعقل والعقلانية والتكنولوجيا والفلسفة والأخلاق والسياسة والفرد والمجتمع والبيئة، وبالتالي يعتمد على المنظور العام الذي يُنظر من خلاله لهذه المواضيع مجتمعة. وكما يقول رئيس مناظرات مَنْك روديارد غْرِفِثْس في مقدمته فإن هذه المناظرة، مقارَنةً بما سبقها، تتضمن «منعطفاً فلسفياً قوياً». وكان هذا دافعاً مهماً لترجمة هذا الكتاب، وكتابة المقدمة أيضاً، التي أردنا لها تبيان الأرضية النظرية العامة لما يجري في المناظرة من محاججات، مع اعتبار الشواغل والانهمامات الفكرية والمعرفية للقارئ العربي الكريم.

إحدى الميزات الهامة لكتبٍ كهذه انها تقدم وجهات النظر المتباينة الحاذقة بشأن مواضيع قد يتصورها كثير من قرائنا العرب «محسومة» أو «بديهية» و«مفهومة». وبالتالي، فإن تقديم معرفة لا قطعية وتعددية حول مواضيع بهذه الدرجة من الأهمية والشمولية، لا بدّ أنْ يُسهم في توسيع الأفق المعرفي، ويصبّ في مجرى التنوير (المقترن بحرية العقل والتفكير بالضرورة) والروح النقدية، التي لا تَقبل شيئاً قبولاً تاماً على علاّته أو ترفضه رفضاً تاماً مسبقاً أيضاً. وهو ما سيراه القارئ في الحوارات الذكية والدقيقة بين أربعة من ألمع مفكري عالمنا المعاصر، ممن يُقدّمون آراءهم ببراعة عالية، وعلى قاعدة قوية من المعرفة، رغم تعارضها أشدّ التعارض.

نصير فليح

أن تبدأ.. هذا كل ما لديك

ISBN 978-614-472-089-9



